آثار الثورة والشعائر الحسينيَّة على العمارة في مدينة الحِلَّة

أ.د. حيدر عامر السلطانيّ
جامعة بابل/مركز بابل للدراسات الحضاريَّة والبابليَّة

The Effects of the Husayni Revolution and Rituals on the Architecture in the City of Hilla

Prof. Dr. Haider Amer Al-Sultani
University of Babylon/Babylon Center for Cultural and Babylonian Studies

ملخَّص البحث

عنوان بحثنا هذا هو (آثار الثورة والشعائر الحسينيَّة على العمارة في مدينة الحِلَّة)، ويظهر هذا الأثر أكثر تجلِّيًا في مدن وسط العراق وجنوبه. وهو من الموضوعات المستحدثة التي تجمع بين التاريخ الإسلاميّ والتاريخ المعاصر والعمارة، إذ تتمتَّع المدن الدينيَّة الشيعيَّة بخصائص في التخطيط والعمارة تميِّزها عن المدن والحواضر الأخرى، وأنَّ هذا التميُّز الذي تشهده العمارة الدينية في الكثير من المدن العراقيَّة ذات الموروث الدينيّ، يمثِّل نتاج مجموعة متنوِّعة من العوامل التي تأثَّرت بها من معتقدات وعادات وتقاليد مجتمعيَّة، وظروف جغرافيَّة وبيئيَّة، ساهمت جميعها في إنتاج المشهد العمرانيّ لهذا النوع من المدن، ورسم ملامحه التخطيطيَّة، جعل من تخطيطها وأبنيتها العمرانيَّة ميزة حضريَّة تضاف الى ميزاتها الأخرى.

لذلك فإنَّ الآثار الدينيَّة تترك بصمتها الواضحة على هويَّة تلك المدن العامَّة؛ عن طريق آثارها في مسارات وشكل الشوارع والأزقَّة، ومسارات الحركة الداخليَّة التي يحكمها النظام العضويّ المترابط لجميع نواحيها، فضلًا عن النسق العمرانيّ بطابعه الدينيّ، ونوعيَّة عمارة أسواقها التقليديَّة، وميادينها العامَّة، وطرقها والأفنية المرافقة للمراقد والمساجد والحسينيَّات ودور العبادة، وصولًا إلى نوع من التكامل في جانب العمارة والوظيفة المراعية للعديد من الجوانب البيئيَّة المؤثِّرة.

ومن خلال البحث، وجدنا بأنَّه لارتباط أهل الحِلَّة روحيًّا وعقائديًّا بأهل البيت عليهم السلام عامَّة، وبالإمام الحسين عليه السلام بخاصَّة، آثار كبيرة على مجمل حياتهم، ولاسيما

الجانب العمراني منها؛ إذ ارتبطت الحِلَّة ومنذ نشأتها بأهل البيت عليهم السلام أرضًا وسكَّانًا وحضارةً، وقربها جغرافيًّا من مراقد أهل البيت عليهم السلام في النجف الأشرف وكربلاء المقدَّسة والكاظميَّة المشرَّفة. وللسياسة دور كبير في ذلك سلبًا في زمن نظام صدام، وإيجابًا في وقتا الحاضر.

وتباينت آثار الثورة الحسينيَّة على العمارة الحِلِّيَّة من جانب لآخر؛ إذ إنَّ أكثر جانب تأثَّر منها في هذه الثورة الخالدة هو العمارة الدينيَّة التي تمثَّلت ببناء الحسينيَّات والمواكب والمقامات والمراقد والمشاهد والمدارس الدينيَّة، وهذا واضح في كثرة أعدادها، والمساحات الكبيرة التي شغلتها داخل وخارج مركز مدينة الحِلَّة، وزخرفتها وانتشارها في جميع أحياء محافظة بابل.

يأتي بالمرتبة الثانية تأثُّرًا بالثورة الحسينيَّة هي الدور السكنيَّة للأهالي والخدمات الخاصَّة، إذ لا يخلو بيت حِلِّيّ، وبالأخص في داخله، من أثر الثورة الحسينيَّة فيه. كما أنَّ هذا واضح في الأسواق المطاعم والأفران والخدمات الأخرى.

ويأتي بالمرتبة الثالثة البنايات العامَّة والحكوميَّة، وذلك في أسمائها والشعارات في داخلها، وأنَّ هذا الأثر يبدو واضحًا في أسماء الأحياء السكنيَّة والشوارع والجداريَّات في عموم مدينة الحِلَّة.

Abstract

This research paper's title is (The Effects of the Husayni Revolution and Rituals on the Architecture in the City of Hilla). This effect is most evident in the cities of central and southern Iraq.This is a newly introduced topic that combines Islamic history, contemporary history, and architecture.

Shia religious cities possess characteristics in planning and architecture that distinguish them from other cities and metropolises. This distinctiveness observed in (Religious Architecture) in many Iraqi cities with a religious heritage is the result of a diverse set of influencing factors, including beliefs, community customs and traditions, and geographical and environmental conditions. All of these factors contributed to the production of the urban scene of this type of city and shaped its planning features, making its planning and urban structures a distinctive urban feature added to its other merits.

Therefore, religious effects leave their clear mark on the general identity of these cities through their impact on the paths

and shape of streets and alleys, and the internal movement routes, which are governed by the organically interconnected system of all its aspects. This is in addition to the urban pattern with its religious character, the type of architecture of its traditional markets, its public squares, its roads, and the courtyards accompanying the shrines, mosques, Husayniyahs (congregation halls), and places of worship, leading to a kind of integration in the aspect of architecture and function that takes into account many influential environmental aspects.

Through the research, we found that the spiritual and doctrinal connection of the people of Hilla to the Household of the Prophet (Ahl al-Bayt) in general, and to Imam Husayn (peace be upon him) in particular, has had significant effects on their entire lives, especially the urban aspect. Hilla has been linked to Ahl al-Bayt (peace be upon them) in terms of land, population, and civilization since its inception, due to its geographical proximity to the shrines of Ahl al-Bayt (peace be upon them) in Najaf al-Ashraf, Karbala al-Muqaddasah, and Al-Kadhimiya al-Musharrafa. Politics has also played a major role in this, negatively during Saddam's regime and positively in the present time.

The effects of the Husayni Revolution on Hilla's architecture varied from one aspect to another. The most affected aspect by this eternal revolution is the religious architecture, represented by the construction of Husayniyahs, Mawkibs (procession tents), Maqams (shrines/stations), holy shrines, religious schools, which is evident in their large numbers, the extensive areas they occupy inside and outside the center of Hilla city, their ornamentation, and their spread across all neighborhoods of Babil Governorate.

Second in terms of influence by the Husayni Revolution are the private residential houses of the residents and private services. No house in Hilla, especially inside, is devoid of the effect of the Husayni Revolution. This is also evident in the markets, restaurants, bakeries, and other services.

Third in rank are public and governmental buildings, evident in their names and the slogans within them. This effect is clearly visible in the names of residential neighborhoods, streets, and murals across the entire city of Hilla.

مقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على النبيِّ الأمين محمَّد بن عبد الله وآل بيته الطيِّبين الطاهرين.

تتمتَّع المدن الدينيَّة بخصائص في التخطيط والعمارة تميِّزها عن المدن والحواضر الأخرى، وأن هذا التميُّز الذي تشهده (العمارة الدينيَّة) في الكثير من المدن ذات الموروث الدينيّ يمثِّل نتاج مجموعة متنوِّعة من العوامل التي تأثَّرت بها من معتقدات وعادات وتقاليد مجتمعيَّة وظروف جغرافيَّة وبيئيَّة ساهمت جميعها في إنتاج المشهد العمرانيّ لهذا النوع من المدن، ورسم ملامحه التخطيطيَّة جعل من تخطيطها وأبنيتها العمرانيَّة ميزة حضريَّة تُضاف إلى ميزاتها الأخرى.

لذلك فإنَّ الآثار الدينيَّة تترك بصمتها الواضحة على هويَّة تلك المدن العامَّة؛ عن طريق آثارها في مسارات وشكل الشوارع والأزقة، ومسارات الحركة الداخليَّة التي يحكمها النظام العضويّ المترابط لمحلَّاتها السكنيَّة بالمركز، والخارجية التي تربطها بالمدن الأخرى، وما تتَّصف به من الجوانب التقليديَّة الممتزجة بالحداثة المعاصرة، فضلًا عن النسق العمرانيّ بطابعه الدينيّ، ونوعية عمارة أسواقها التقليديَّة، وميادينها العامَّة، وطرقها، والأفنية المرافقة للمراقد والمساجد والحسينيَّات ودور العبادة، وصولًا إلى نوع من التكامل في جانب العمارة والوظيفة المراعية للعديد من الجوانب البيئيَّة المؤثِّرة.

ومن منطلق نصرة الإمام الحسين عليه السلام بالقول والفعل، وتسليط الضوء على جانب جديد من جوانب الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة التي تأثَّرت بأهل البيت عليهم السلام، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، اخترنا الكتابة في آثار الثورة الحسينيَّة العظيمة في نواحي الحياة الإنسانيَّة جمعاء، ومنها العمارة، وبطبيعة الحال فإنَّ الشعائر الحسينيَّة جزء من تلك الثورة الخالدة، فجاء عنوان البحث (آثار الثورة والشعائر الحسينيَّة على العمارة في مدينة الحِلَّة). ويظهر هذا الأثر أكثر تجلِّيًا في مدن وسط وجنوب العراق، وهو من المواضيع المستحدثة التي تجمع بين التاريخ الإسلاميّ، والتاريخ المعاصر، والعمارة.

وقُسِّم البحث على مقدِّمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع. بيَّنَّا في المبحث الأوَّل آثار الشعائر الحسينيَّة على العمارة الدينيَّة في مدينة الحِلَّة، وفي المبحث الثاني آثار هذه الثورة الخالدة على العمارة العامَّة، وفي المبحث الثالث آثار الثورة والشعائر الحسينيَّة على العمارة المدنيَّة أو الخاصَّة في مدينة الحِلَّة. ثمَّ خاتمة حَمَلَت أهمَّ النتائج التي توصَّل إليها البحث.

واتَّبعنا طريقة جمع المعلومات من مصادرها الأوليَّة والثانويَّة، وتحليل هذه المعلومات، كما كتبنا بوصفنا شاهد عيان حي على هذه الآثار في مدينة الحِلَّة، وقمنا بزيارات ميدانيَّة إلى الكثير من الأماكن؛ لنقرن الشهادة بالدليل، كما أجرينا مقابلات شخصيَّة مع بعض الشخصيَّات التي لها اطِّلاع في هذا الجانب.

نسأل الله تعالى أن يوفِّقنا لما يحبُّ ويرضى، إنَّه نِعمَ المولى ونِعمَ النصير، والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة على محمَّد النبيِّ الأمين وآل بيته الطيِّبين الطاهرين.

تمهيد

لقد تركت فاجعة كربلاء أثرًا عميقًا في الضمائر والنفوس، وتفاعل معها المجتمع الإسلاميّ بصفة عامَّة، والشيعة الإماميَّة بخاصَّة، انفعالًا عميقًا، فكان ذلك كفيلًا بأن يبثَّ في النفوس ما يدفعها إلى الدفاع عن كرامتها، وأن يوقد في مكنوناتها الروح النضاليَّة، فغيَّرت هذه الثورة الكثير من واقع المجتمع الذي انفجرت فيه، وحقَّقت نصرًا لصانعيها، وحطَّمت غرور وكبرياء وخيلاء أعدائها.

تعدُّ الثورة الحسينيَّة من الثورات العالميَّة في تاريخ الإنسانيَّة عامَّة، والمسلمين بخاصَّة، وأعظمها أثرًا بعد ما جاء به الأنبياء عليهم السلام، فمنذ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في معركة الطفِّ الخالدة، أخذت تلك المبادئ التي نادى بها الإمام عليه السلام تسري في بقاع الأرض، وتنتشر وتتجدَّد من جيلٍ لآخر، فتركت آثارًا كثيرة في نواحي الحياة الدينيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والعمرانيَّة، وغيرها، لاسيما فيما يخصُّ نواحي الحياة المختلفة لدى الشيعة الإماميَّة، ومن تلك النواحي الناحية العمرانيَّة.

وبصورة عامَّة تكمن أهميَّة دراسة فن العمارة في أنَّه علم من العلوم التي لا غنى عنها لمعرفة جوانب كثيرة من تاريخ الحضارة الإنسانيَّة، فلهذا العلم أسسه وأصوله، وهو على علاقة بعلم التاريخ من جهة، وعلم الآثار من جهة أخرى، إذ إنَّ هذه العلوم الثلاثة يكمِّل بعضها بعضًا، ولا غنى لأحدها عن الآخر، ولا يمكن الوصول إلى الحقائق العلميَّة والحضاريَّة إلَّا بالاستعانة بهذه العلوم، فهي مرآة المجتمع، وتكشف

جوانب عدَّة في حياة المجتمعات الدينيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة وغيرها[1].

أمَّا علاقة الدين بالمدينة والعمران فيها فواضحة؛ بوصفها أحد المؤشِّرات المدنيَّة التي يتَّصف بها مجتمع المدينة، فضلًا عن كونها أحد أبرز مقوِّمات المدينة وعوامل قيامها منذ القِدَم؛ لذا فإنَّ دور الدين ومؤسَّساته بدا واضحًا في قيام وتأسيس العديد من الحواضر المدنيَّة في شتَّى بقاع العالم، ومنها العراق، وقد تطوَّر هذا الأثر إلى إنتاج صور حضريَّة أكثر تجلِّيًا في التعامل مع الدين ومخرجاته، فقد بدا كثيرًا تداول مصطلحات: (العتبات المقدَّسة، المدن الدينيَّة، مدن الحجِّ، مدن الأضرحة، مدن الأديرة والزوايا)، وغيرها، من المفاهيم التي تجسِّد طبيعة علاقة الدين بالمدينة ومؤسَّساتها الحضريَّة.

هذا وإنَّ الخصوبة المعماريَّة الإسلاميَّة والمذهبيَّة المحليَّة تكمن أساسًا في البيئة الخاصَّة بروحيَّة كلِّ منطقة محليَّة من جهة، وفي الخصوصيَّات الجغرافيَّة والتاريخيَّة من جهة أخرى، وفي مجمل العلاقات التي تشكِّل النسيج الخاص بالوحدة الشاملة للمنطقة المعنيَّة من جهة ثالثة، ومن موقعها الخاص وضمن الإطار الحضاريّ الإنسانيّ العام. وهذه جميعها مستمدَّة من استمراريَّة الذات الإسلاميَّة ونزعتها المعماريَّة، والخصوصيَّات المحليَّة المترتبة عنها، والمنعكسة في الهيكليَّة الحجريَّة للجدران وفراغاتها وإخراجها، وهيكليَّة كتلتها وتكنولوجيَّتها الخاصَّة، دون سدِّ الباب أمام دخول تكنولوجيا جديدة، شريطة أن لا يؤدِّي ذلك إلى طغيان الأخيرة. وهذا بمجمله يشكِّل الأرضيَّة التي يمكن أو ينبغي أن تقف عليها العمارة المعاصرة، لاسيما المحليَّة منها[2].

(١) الموسويّ، هاشم عبُّود، العمارة وحلقات تطوُّرها عبر التاريخ القديم، دار دجلة، (عمان، ٢٠١١م)، ص١٨.

(٢) الهنداويّ، حسين، محمَّد مكيَّة والعمران المعاصر، الدار العربيَّة للعلوم، (بيروت، ٢٠١٣م)، ص٣٢.

واختلفت العمارة من حضارة إلى أخرى، بسبب اختلاف العوامل المؤثرة فيها، فأكسب ذلك كلَّ عمارة خصوصيَّتها التي ميَّزتها عن باقي الحضارات. وبصورة عامَّة فإنَّ فنَّ العمارة وتصميم شكل المبنى في تنوُّعه، يخضع لتطوُّر الحياة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة والدينيَّة، وكذلك الأعراف والتقاليد، وتطوُّر أدوات البناء وتنوُّعها، واستخدام مواد جديدة في البناء، وكذلك أساليب البناء وطرقه، وذلك كلُّه من فنون الحضارة الإسلاميَّة.

كما أنَّ من خصائص العمارة الإسلاميَّة عامَّة، هي: الخطُّ العربيّ الذي امتاز بعدَّة خصائص فنيَّة لم تتوافر لغيره من فنون الحضارات المختلفة؛ وذلك لمرونة حروفه، وسهولة حركته، وقابليَّته للتشكيل والزخرفة، فأدَّى ذلك لإطلاق العنان للخطَّاط المسلم لأنْ يشكِّل حروفه بحسب المساحات المخصَّصة للكتابة، ويزخرف كتاباته بشتَّى الأساليب الزخرفيَّة التي يراها ملائمة للتحفة التي يشكِّلها[1].

وإنَّ الذي ينعم في دراسة الأنسجة العمرانيَّة للمدن الإسلاميَّة عامَّة، والعراقيَّة بخاصَّة، من حيث مواقعها ووظائفها والخدمات المقدَّمة فيها، سيرى لا محالة بأنَّ جميع هذه المدن تشكِّل وحدة واحدة في صفاتها العامَّة، مع تنوُّع يُزيدها جماليَّة في هذا الجانب أو ذاك، فلو أخذنا مدن كربلاء والحِلَّة والبصرة، لوجدنا أنَّ الملامح العامَّة لهذه المدن تتشابه إلى حدٍّ ما، وهي بادية للعيان. والسؤال هنا: ما الذي فرض هذا التشابه لهذه المدن؟ الجواب: بما لا يقبل الشكَّ هو الإسلام والانتماء المذهبيّ الواحد وعن طريق تعاليمه من جهة، ومؤسَّساته من جهة أخرى، فضلًا عن العوامل الأخرى، ومنها البيئيَّة والاقتصاديَّة والثقافيَّة.

(١) شحاته، عزَّة عليّ عبد الحميد، النقوش الكتابيَّة بالعمائر الدينيَّة والمدنيَّة في العصرَين المملوكيّ والعثمانيّ، العلم والايمان للنشر والتوزيع، (دسوق، ٢٠٠٨م)، ص١١.

ومن أسباب التنوُّع في العمارة عامَّة، والعراقيَّة بخاصَّة، هو أنَّ الدين الإسلاميّ دين متطوِّر يحضُّ على الاجتهاد والتجديد، ويشجِّع على الجمال والكمال في أعمال الإنسان وأخلاقه، قال الرسول المصطفى ﷺ: «إنَّ الله جميل يحبُّ الجمال»(١).

ويتجلَّى أثر الثورة الحسينيَّة في العمارة الدينيَّة والمدنية في العمارة العامَّة والخاصَّة على اختلاف الأماكن، لاسيما مدن وسط جنوب العراق، ومن ذلك ما يتجلَّى من أثر الثورة في العمارة على مدينة الحِلَّة، من خلال تنوُّع الأساليب التي تدلُّ على التنوُّع في فن العمارة، وعلى الإبداع المعماريّ الحِلِّيّ. وبالرغم من أنَّ تنوُّع الأساليب والطرز في العمارة الإسلاميَّة عامَّة، والعراقية خاصَّة، جاء نتيجة تظافر عدَّة عوامل، منها دينيَّة وطبيعيَّة واقتصاديَّة واجتماعيَّة، والاحتكاك بالحضارات الأخرى، إلَّا أنَّ الحريَّة والقوَّة الإبداعيَّة لدى المعمار الحِلِّيّ كانت من عوامل هذا التطوُّر المعماريّ في هذه المدينة.

وكذلك فإنَّ من أسباب الإبداع في العمارة الإسلاميَّة، هي الثقة والرغبة في الحصول على أحسن النتائج، واختلاف الأمزجة بين الناس، وكذلك اختلاف مستويات تفكيرهم وتديُّنهم وأوضاعهم وقدراتهم الماليَّة.

ومدينة الحِلَّة بُنِيت، كما سنبيِّن لاحقًا، متأثِّرة بالثورة الحسينيَّة، فمنذ تمصيرها، وكما وصفها الرحَّالة ابن جبير بالقول: «وأهل هذه المدينة كلُّها إماميَّة اثنا عشريَّة»(٢)، كانت

(١) الطبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخميّ (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)، مسند الشاميِّين، حقَّقه وأخرج أحاديثه: حمدي عبد الجبَّار، مؤسَّسة الرسالة، (بيروت،١٩٨٩م)، ٣/ ٣٠٠، ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ، (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تح: صدقي جميل العطَّار، دار المعرفة لطباعة والنشر، (بيروت، ٢٠٠١م)، ٥/ ٤٧٨.

(٢) ابن بطُّوطة، محمَّد بن عبد الله اللواتيّ (ت٧٧٩هـ)، تحفة النظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المسمَّى رحلة ابن بطُّوطة، تحقيق: عليّ المنتصر الكتَّانيّ، مؤسَّسة الرسالة، (بيروت،١٤٠٥هـ)، ١/ ٢١٣٩.

قـد عقدت عهد الولاء لأهـل البيت عليهم السلام، فـكان لذلك أكبر الأثر عـلى مجمل جوانب حياتهم، لاسيَّما العمرانيَّة منها.

لذا سنسـلِّط الضوء في بحثنا هذا على بعض آثار الشـعائر الحسـينيَّة على العمارة في مدينة الحِلَّة.

المبحث الأوَّل

آثار الثورة والشعائر الحسينيَّة على العمارة الدينيَّة في مدينة الحِلَّة

المدينة كالكائن الحيِّ، ينمو ويتمدَّد ويتطوَّر، ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار دورة حياة المدينة وسكَّانها، وتغيُّر أمزجة الأجيال التي تعيش فيها، وتحوُّل تقنيَّاتهم، وأنماط حياتهم، ومصادر اقتصادهم، ومعتقداهم وديانتهم. والمدينة بهذا المفهوم ليست فقط المكوِّن العمرانيّ المادِّي الذي نشاهده، بل إنَّ غير المنظور الذي يسري مسرى الدم في الجسد، ويبثَّ الحياة فيه، هو الذي يصنع الحقيقة المتوارية عن أنظارنا للمدينة.

وتختلف أسباب بناء المدن على الأرض، على مرِّ العصور، باختلاف المؤثِّرات والحاجات والضروريَّات التي دعت لبناء هذه المدن، فمنها ما بُنِي لأسباب عسكريَّة، أو تجاريَّة، أو دينيَّة. ويُعتَقَد أنَّ أوَّل مدينة بُنِيت في التاريخ هي مدينة أوروك في بلاد ما بين النهرين، وعلى مرِّ العصور احترف أهل العراق بناء المدن والحصون، وهذا كمنطلق تاريخيّ يخوِّلنا لأن نفهم المكوِّن الثقافيّ الذي ظلَّ متوارَثًا في الجزيرة العربيَّة، وطبيعة نشأة المدن. وفي القرآن الكريم جاء في حديثه عن قوم عاد قوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾[1]، فكيف بَنَوا هذه المدينة التي لم يكن يضاهيها مدينة أو عمران آخر في وقتها؟ لا بُدَّ أن أولئك الناس كانوا قد مرُّوا بتجارب عمرانيَّة

(١) سورة الفجر: ٧-٨.

كثيرة طوَّرت مفهوم المدينة لديهم، حتَّى توصَّلوا إلى بناء مدينة عظيمة. وفي حديثه عن مدينة ثمود في الحجر قال تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾[1]، وفي موضعٍ آخر قال تعالى: ﴿ءَامِنِينَ﴾[2]، والإشارة هنا إلى أنَّ المدن تُبنى من أجل تحقيق الرفاهية، أو تحقيق الأمن.

وفي قصَّة بناء مكَّة المكرَّمة يتجلَّى لنا العامل الدينيّ سببًا رئيسًا في بناء المدن، ثمَّ كانت هناك أسباب ثانويَّة ساعدت على ازدهار هذه المدينة، منها العامل الاقتصاديّ، فجعل منها محطَّة مهمَّة للتجارة والقوافل التجاريَّة.

ومن المدن من كان السبب الدينيّ سببًا في بنائها، مع تضافر عوامل أخرى، منها السياسيَّ والاقتصاديّ، هي المدينة المنوَّرة. وكان تمصير مدينة البصرة ثمَّ الكوفة لأسباب طغى عليها الجانب العسكريّ؛ لتكون معسكرات متقدِّمة للجند لفتح بلاد المشرق. وكذلك يتجلَّى أثر العامل الدينيّ في بناء المدن، واستمرار بقائها في العراق، وبخاصَّة في مدينتَي النجف الأشرف، وكربلاء المقدَّسة.

وأمَّا أصل بناء مدينة الحِلَّة، فهناك ما يشير إلى أنَّ أحد أسباب تمصيرها ووجودها هو العامل المذهبيّ، فضلًا عن الضغط السياسيّ الذي مارسه السلطان السلجوقيّ بيركيارق ووزرائه على الأمير صدقة تحت ذرائع دينيَّة مذهبيَّة، واخرى اقتصادية[3].

تقع مدينة الحِلَّة على جانبي شطِّ الحِلَّة، في الموضع الذي يتقاطع فيه خطُّ الطول (٦٦ , ٤٤ شرقًا مع قوس العرض ٩ , ٤٢ شمالًا)، وتتميَّز باستواء أرضها وخصوبتها،

(١) سورة الشعراء: ١٤٩.
(٢) سورة الحجر: ٨٢.
(٣) الغزاليّ، جاسم شعلان كريم، البُعد الجغرافيّ للوظيفة السكنيَّة في مدينة الحِلَّة دراسة في جغرافية المدن، دار الصادق، (بابل، ٢٠١١م)، ص١٥.

وتتوسط الحِلَّة عددا من الأقضية والنواحي، هي: الإسكندريَّة، والحصوة، والمسيَّب، والمحاويل، وأبي غرق، والقاسم، والهاشميَّة، والشوملي، والمدحتيَّة، والكفل، وتربطها جميعًا شبكة من الطرق تصلها بالحِلَّة[١].

وتعدُّ محافظة بابل من أكثر المحافظات العراقيَّة أهميَّةً بالنسبة للمقوِّمات الأثريَّة، حيث ظهرت على أرضها، وعلى امتداد قرون، حضارات عريقة ومراكز دينيَّة ما زالت آثارها قائمة حتَّى يومنا هذا، ومن أهمِّها: مدينة بابل الآثريَّة[٢]، ومدينة بورسيبا[٣]، وآثار كوثا (جبل إبراهيم)[٤]، ومرقد نبي الله أيُّوب[٥]، ومرقد نبي الله ذي الكفل[٦]، ومرقد القاسم[٧]، ومرقد الحمزة الغربي[٨]، ومرقد أولاد مسلم بن عقيل[٩]، ومرقد

(١) الغزاليّ، جاسم شعلان كريم، البُعد الجغرافيّ، ص٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٧.

(٣) تقع مدينة بورسيبا على بُعد (١٥) كم جنوب غرب مدينة الحِلَّة، باتِّجاه الطريق المؤدِّي إلى محافظة النجف الأشرف، وبرجها المدرَّج علامة شاهقة في الطريق ما بين الحِلَّة والكفل، ويبلغ ارتفاعها ٤٧ م على مستوى الأرض. وتتضمَّن المدينة بعض المعالم الأثريَّة، منها آثار النمرود، وأهمّها الزقُّورة، بالإضافة إلى مكان ولادة نبيِّ الله إبراهيم عليه السلام.

(٤) تقع آثار كوثا على بُعد (٥٠) كم شمال شرق مدينة الحِلَّة، ضمن حدود ناحية مشروع المسيَّب الكبير (جبلة)، وتدلُّ النقوش التأريخيَّة على قِدَم هذه الآثار ومكانتها كمركز دينيّ.

(٥) ويقع نحو (١٥) كم عن مدينة الحِلَّة.

(٦) وهو مرقد نبيّ الله يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن. ويقع في ناحية الكفل، على الطريق بين الكوفة والحِلَّة.

(٧) وهو مرقد القاسم ابن الإمام جعفر بن محمَّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ويقع في مدينة القاسم التي سمِّيت باسمه، ويبعد عن مركز المحافظة بحدود (٤٠) كم.

(٨) وهو مرقد حمزة بن القاسم بن عليّ بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن أبي الفضل العبَّاس بن عليّ بن أبي طالب، ويقع في ناحية المدحتيَّة، جنوب الحِلَّة مركز محافظة بابل.

(٩) وهو مرقد محمَّد وإبراهيم، وَلَدَي مسلم بن عقيل بن عليّ بن أبي طالب، ويقع بالقرب من مركز قضاء المسيَّب.

زيد الشـهيد[1]، ومقام الإمام علي (مشـهد الشـمس)[2]، ومرقد عمران بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومرقد بكر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومراقد ومقامات أخرى كثيرة جدًّا.

وامتاز العراق عن غيره من مدن الشرق الأوسـط بوجود مدن العتبات المقدَّسـة، ومن أكثرها شـهرة مدينة النجف وكربلاء وسامرَّاء، وارتبط نشوء وبناء هذه الحواضر وتطوُّرها بالأئمَّة المعصومين عليهم السلام، فأصبحت متميِّزة في وظائفها، فهي تتخصَّص بتقديم الخدمـات الدينيَّة عن غيرهـا، وأصبحت الوظيفـة الدينيَّة من أهـمِّ وظائفها الحضريَّة المهيمنـة، ومن هذا المنطلق بات لهذا النوع من المـدن متطلَّباته التخطيطيَّة الخاصَّة، التي تتماشـى مع نوعيَّة الوظيفة الدينيَّة التي تمارسـها هذه المدن، وتتنـوَّع هذه المتطلَّبات بين الخطـط النوعيَّة المتخصِّصة والتصاميم الأسـاس المراعية لهـذه الخصوصيَّة، فضلًا عن العديد من الإجراءات التخطيطيَّة والسـياقات العمرانيَّة المورفولوجيَّة التي من شـأنها تحديـد نوعيَّة الطرز والعمران والفضاءات المطلوبة والمنشـآت العمرانيَّة السـاندة لهذه الوظيفة[3].

ويتَّضح أثر الشـعائر الحسـينيَّة على العـمارة في مدينة الحِلَّة في مسـاحات الأراضي الكبـيرة التـي خصِّصـت لإقامـة هذه الشـعائر، ومـا يرتبـط بها مـن بنـاء وفعَّاليَّات اقتصاديَّـة واجتماعيَّـة وخدميَّـة وغيرهـا، فأصبح نسـيج مدينـة الحِلَّة العمـرانيّ يتميَّز بكثـرة المبـاني الدينيَّة مـن جوامع ومسـاجد وحسـينيَّات ومراقـد الأوليـاء والعلماء،

(١) مرقـد زيـد بن عليّ بن الحسـين بن عليّ بن أبي طالـب عليه السلام، ويقع مرقـده (٧) كم عن ناحية الكفل.

(٢) ويقـع عـلى طريق الحِلَّة- كربلاء، ويضمُّ مئذنـة أثريَّة من الطراز السـلجوقيّ، ويعود بناؤه إلى سنة ٣٨هـ.

(٣) الجميليّ، رياض كاظم سلمان، المدن الدينيَّة أنواعها وخصائصها الحضريَّة، بحث منشور، كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة، قسم الجغرافيا، ص١.

حتَّى بلغ عدد تلك المراقد التي تحوَّلت إلى مزارات يقصدها الناس إلى (٢٥) مرقدًا[١].

ومن الطبيعيّ أن تتأثَّر الحالة العمرانيَّة في مدينة الحِلَّة بالثورة والشعائر الحسينيَّة؛ بحكم تاريخ نشوئها وارتباطها عضويًّا، سواء على مستوى الأرض والسكَّان والانتماء المذهبيّ بأهل البيت عليهم السلام. كما أنَّ تاريخ نشوئها يرتبط برواية عن مباركة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام حين مرَّ بها بعد عودته من صفِّين، فتذكر الرواية: «عن الأصبغ ابن نباتة، قال: صحبت مولاي أمير المؤمنين عليه السلام عند وروده إلى صفِّين، وقد وقف على تل عرير، ثمَّ أومأ إلى أجمة ما بين بابل والتل، وقال: **مدينة وأي مدينة!** فقلت له: يا مولاي أراك تذكر مدينة، أكان هاهنا مدينة وانمحت آثارها ؟ فقال: **لا، ولكن ستكون مدينة يقال لها: الحِلَّة السيفية، يمدِّنها رجل من بني أسد، يظهر بها أخيار لو أقسم أحدهم على الله؛ لأبرَّ قسمه**»[٢].

وكما أسلفنا، تتجلَّى آثار الثورة الحسينيَّة على العمارة في مدينة الحِلَّة على أرض الواقع، وتتمثَّل في هذا الكمِّ الهائل من الإرث الحضاريّ في المساجد والحسينيَّات والمشاهد ومراقد الأعلام والدور السكنية والبنايات العامَّة والخاصَّة، وغيرها الكثير.

والظاهر أنَّ للأثر الدينيّ عامَّة، والانتماء المذهبيّ لأهل الحِلَّة لمذهب آل البيت عليهم السلام أكبر الأثر في بناء مدينة الحِلَّة، وتنسيق هيكلها العام؛ إذ إنَّ غالبيَّة أهلها شيعة جعفريَّة، وكذا مؤسِّسيها وأمرائها، حتَّى ذكر بأنَّ محلَّة الجامعين التي هي من أقدم محلَّات

(١) الغزاليّ، البعد الجغرافيّ، ص٧٨.

(٢) العلَّامة الحِلِّيّ، أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهَّر الأسديّ (ت٧٢٦هـ)، إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان، تحقيق: الشيخ فارس الحسُّون، مطبعة مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، (قم، ١٤١٠هـ)، ١/ ٢٦.

الحِلَّة السيفيَّة قد سمِّيت بذلك لبناء جامعَين فيها، الأوَّل: بناها شيعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والثاني بناه الشيعة في عهد الإمام جعفر الصادق عليه السلام، من أجل العبادة والدرس[1].

ومن آثار الثورة والشعائر الحسينيَّة على العمارة الدينيَّة في مدينة الحِلَّة، ما يأتي:

أوَّلًا: بناء الحسينيَّات وآثارها على العمارة في مدينة الحِلَّة

الجانب العمرانيّ هو من الجوانب التي تأثَّرت بالثورة والشعائر الحسينيَّة في بعض البلدان الإسلاميَّة، لاسيما في المدن الإسلاميَّة الشيعيَّة، إذ إنَّ للمعتقدات الدينيَّة، وأنواع العبادات، وطريقة ممارستها، والعادات والتقاليد، والمناخ، وطريقة الحكم، والإيديولوجيَّة المتحكِّمة، دورًا كبيرًا في طريقة العمارة وفنِّها، فديانة المجتمع وعاداته وتقاليده تؤثِّر على سلوك المجتمع، وبالتالي طريقة معيشته، وهي تحدِّد نظام حياته بالدرجة الأولى، فنجد المساكن تختلف من منطقة لأخرى، وكذلك دور العبادة والمنشآت العامَّة، وغيرها من الكتل المعماريَّة.

وبصورة عامَّة، فقد مرَّت العمارة في مدينة الحِلَّة بحقب زمنيَّة مختلفة أثَّرت على عمارتها، فبعد حقبة حكم المزيديِّين، أمست الحِلَّة تابعة للعباسيِّين، ومن ثمَّ للعثمانيِّين، ثمَّ وقعت تحت الاحتلال الإنكليزيّ حتَّى قيام النظام الملكيّ في العراق[2]، ثمَّ بعد ذلك النظام الجمهوريّ، وبعد عام (٢٠٠٣م)، أصبح النظام البرلمانيّ هو نظام الحكم في العراق.

(١) الحميديّ، محمَّد هادي، الحِلَّة محلاتها بيوتاتها أزقَّتها، منشورات بابل، (بابل، ٢٠١٣م)، ص٤٤.

(٢) للمزيد من التفاصيل ينظر: كركوش، يوسف، تاريخ الحِلَّة، شريعت، (طهران، ٢٠٠٨هـ)، ١/ ١، ٢٥٢.

وتركت هذه الحقب الزمنيَّة آثارًا كبيرة على العمارة في مدينة الحِلَّة، لكن كان لانتماء أهـل الحِلَّة للمذهب الجعفريّ، وإيمانهم بثورة الإمام الحسـين عليه السلام، أكبر الأثر على مجمل حياتهم السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والعمرانيَّة.

كانـت أرض الحِلَّـة قبـل عمارتها أرض أحـراش وأشـجار تكثر فيهـا الحيوانات البريَّة من الذئاب وغيرها، ثمَّ نشـأت فيها محلَّتان، هما أصل لبنتها العمرانيَّة، وهما محلَّتا الجامعين والأكراد، وكلُّ أهلها إماميَّة اثنا عشريَّة، ثمَّ تطوَّرت الحركة العمرانيَّة في مدينة الحِلَّـة، وظهـرت محلَّات جديدة، هي: السـنيَّة والمهديَّة وجبران والطـاق، ثمَّ الجديدة، وتوسَّـعت في بدايـة القرن العشرين، وفي مـدَّة حكم النظام الملكـيّ، لتكون: حي بابل والقاضيَّة والخسرويَّة، ولاحقًا الماشـطة، وكان اسـتخدام المواد الجديدة مثل الشـيلمان والطابوق المفخور والزجاج والحديد واضحًا بدل جذوع النخيل والبردي والخشـب، إذ كان استخدام مثل هذه المواد أساسيًّا في البناء سابقًا[1].

وبعـد ثـورة (١٤ تمـوز ١٩٥٨م) تكوَّنت أحيـاء جديدة أخرى، هي: الإسـكان والحـي الجمهوريّ والثورة والشـاوي، وفي بداية السـتينيَّات توسَّـعت الحِلَّة وتكوَّنت احيـاء جديـدة، هـي مصطفى راغـب والبكـرلي ونـادر والجمعيَّـة، ثمَّ حي الحسـين والطيَّـارة وحـي الإمام عـليّ عليه السلام، وبعدها أُنشـأت أحياء جديدة أخـرى، هي ١٧ تموز والكرامة، ولاحقًا المحاربين والضبَّاط والعسـكريّ والمهندسين والأكرمين والأساتذة والمخابرات[2].

وبما أنَّ كلَّ مدينة تصمَّم على شـكل وحدات عمرانيَّة مبنيَّة على أساس الدراسات التطويريَّة والتوسـيعيَّة، وكما أنَّ العمارة بصورة عامَّة تصنَّف إلى عمارة مصمَّمة، وعمارة

(١) الحسينيّ، نصير، العمارة في مدينة الحِلَّة، تموز، (دمشق، ٢٠١١م)، ص١٢.
(٢) المصدر نفسه، ص١٢.

شعبيَّة تمثِّل واقع الطبقات الاجتماعيَّة، بحسب دخلهم العام، فمدينة الحِلَّة إحدى المدن التي شملها هذا التصميم.

إنَّ نشوء الحسينيَّات يرتبط ارتباطًا مباشرًا بالثورة والشعائر والمراسم الحسينيَّة، بل سمِّيت الحسينيَّات بهذا الاسم؛ نسبةً للإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام بخاصَّة[1].

كما أنَّ هناك تلازمًا وثيقًا بين بناء المساجد والحسينيَّات، فتؤدِّي الحسينيَّة نفس وظائف المسجد، وتزيد عليه في إقامة الشعائر وخدمة الزوَّار، فقد كان المسجد منذ الصدر الأوَّل للإسلام مؤسَّسة ثقافيَّة، بالإضافة إلى الأبعاد الدينيَّة والإداريَّة لهذه المؤسَّسة، وكانت الخطب والدروس والمحاضرات تُلقى في المساجد على الناس، وكان الناس ومازالوا يتردَّدون على المساجد من أجل أن يرتووا من منهل الثقافة الإسلاميَّة. وقد سار أتباع أهل البيت عليهم السلام على هذا المنوال انسجامًا مع الطرح الإسلاميّ لدور المسجد الذي يربط الثقافة العامَّة بالالتزامات الدينيَّة، وينطلق فيها من العقيدة والإيمان بالله تعالى، ويمنحها القدسيَّة، فتصبح واجبًا من الواجبات الشرعيَّة، كما ورد في الحديث الشريف: «**طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم**»[2]، وهم يتأسَّون في ذلك برسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته، وفي مقدِّمتهم سيِّد الأوصياء الإمام عليّ عليه السلام، الذي حوَّل المسجد طيلة خلافته إلى مؤسَّسة إسلاميَّة متكاملة في الحكم والقضاء والجهاد والاجتماع، وأصبحت الثقافة أحد معالمها الأساسيَّة[3].

(١) مرتضى العامليّ، مختصر مفيد (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة)، المركز الإسلاميّ للدراسات، (بيروت، ٢٠٠٤م)، ٨/ ١٠٨.

(٢) الكلينيّ، أبو جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ الرازي، (ت٣٢٩هـ)، الكافي، ط٥، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، دار الكتب الإسلاميَّة، (طهران، ١٣٨٨هـ)، ١/ ٣٠.

(٣) الحكيم، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، ص١٤٠.

إلَّا أنَّ أتباع أهل البيت عليهم السلام كانوا يواجهون مشاكل في مختلف أنحاء العالم الإسلاميّ، ومنها مشكلة العدوان والمطاردة لهم ولثقافتهم وأفكارهم وعقائدهم من قِبَل الطغاة والظالمين، كما كان يتعرَّض أئمَّتهم إلى ذلك أيضًا. ومن هنا لم يكونوا يجدون الفرصة دائمًا للاستفادة في الجانب الثقافيّ من المسجد باعتباره مؤسَّسة تخضع عادة لإدارة السلطان ونظامه، فكانوا يضطرُّون أحيانًا إلى اختيار أماكن أخرى بعيدة عن عيون الطغاة وأعوانهم، من أجل أن يتعلَّموا ويعلِّموا الآخرين، ويتدارسوا ويتحادثوا في مختلف الشؤون الحيويَّة والثقافيَّة، ولكنَّهم مع ذلك لم يكونوا ليتخلُّوا عن المسجد والارتباط به في إقامة الشعائر الإسلاميَّة حتَّى في أشدِّ الظروف قسوة؛ لأنَّ المسجد بالنسبة إليهم لم يكن مجرَّد مكان للدرس والمعرفة، بل كان قبل ذلك محلًّا للعبادة والدعاء والمناجاة لله تعالى، كما أنَّه كان يمثِّل وسيلة الارتباط مع بقيَّة اجزاء الأمَّة وأوساطها، وقد حرص أئمَّة أهل البيت عليهم السلام على إبقاء هذا الارتباط والمحافظة عليه، حرصًا شديدًا[1].

ولذلك كان أتباع أهل البيت عليهم السلام كلَّما وجدوا الفرصة موآتية لأن يكون المسجد منطلقًا للعمل الثقافيّ أيضًا توجَّهوا إلى ذلك. وقد عرفنا أنَّ مسجد الكوفة كان مركزًا مهمًّا لمدرسة أهل البيت طيلة عهود من الزمن. وكذلك كانت المساجد في المناطق التي يجد فيها أتباع أهل البيت عليهم السلام شيئًا من الحريَّة والأمن مراكز للثقافة الإسلاميَّة، لا يستبدلون بها شيئًا آخر، كما في إيران والعراق واليمن ولبنان وغيرها، كما أنَّهم اهتمُّوا ببناء المساجد وتشييدها والاعتناء بها، كما تشهد بذلك جميع حواضر البلدان التي يسكنها أتباع أهل البيت عليهم السلام، إذ إنَّ مذهبهم يحثُّهم على بناء المساجد والحسينيَّات[2].

(١) الحكيم، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، ص١٤٠.

(٢) العلَّامة الحِلِّيّ، جمال الدين الحسن بن يوسف بن عليّ بن مطهَّر الحِلِّيّ (ت٧٢٦ هـ)، تذكرة=

أمَّا في المناطق التي لم يجدوا فيها الحريَّة والأمن، فقد كانوا يتَّخذون أماكن أخرى للمحافظة على ثقافتهم وعقائدهم وتأريخهم، فنشأت بذلك فكرة تأسيس (الحسينيَّات)؛ حيث كانت البداية تنطلق من فكرة اتِّخاذ مركزًا يتحدَّثون فيه بحريَّة وأمان، كما تحدَّثت بذلك روايات أهل البيت عليهم السلام، وكان أكثر ما يجري فيه الحديث هو الحديث عن الحسين عليه السلام ومظلوميَّته، فتطوَّرت هذه الفكرة حتَّى أصبح أتباع أهل البيت عليهم السلام يؤسِّسون الحسينيَّات ويبنونها ويتَّخذونها مراكز ثقافيَّة واجتماعيَّة، ولكنَّهم يجعلون أحيانًا قسمًا من البناء مسجدًا؛ حرصًا على البُعد الدينيّ والشعائريّ للمسجد، وقسمًا من البناء حسينيَّة تمجيدًا لذكرى أبي عبد الله الحسين عليه السلام من ناحية، ولضمان المزيد من الحريَّة في العمل والنشاط من ناحية أخرى.

وبالإضافة إلى ممارسة بعض النشاطات الاجتماعيَّة والثقافيَّة فيها، مثل مجالس العزاء والأفراح الخاصَّة، أو الاحتفالات العامَّة، أو المكتبات العامَّة فيها، وخدمة زوَّار المناسبات الدينيَّة، لاسيما الزيارة الأربعينيَّة، وبذلك تحوَّلت الحسينيَّة إلى مؤسَّسة ثقافيَّة أخرى اعتمد عليها أتباع أهل البيت عليهم السلام لنشر الثقافة الإسلاميَّة، وأصبحت منطلقًا لمشروع مؤسَّسة ثقافيَّة واسعة اختصَّ بها أهل البيت عليهم السلام، وهي الشعائر الحسينيَّة، ولكن المؤسَّسة الحسينيَّة إنَّما هي في الحقيقة امتداد لمؤسَّسة المسجد الإسلاميَّة[1].

ومن ذلك يمكننا القول إنَّ من الآثار الكبيرة للثورة الحسينيَّة على العمارة في مدينة الحِلَّة، هو انتشار بناء الحسينيَّات في مركز المدينة واقضيتها وقصباتها وأحيائها وقراها، فلا تخلو أي منها من حسينيَّة، وكلٌّ منها تؤدِّي الوظائف التي أُنشأت من أجلها، سواء في شهر محرم الحرَّام، وحتَّى نهاية الزيارة الأربعينيَّة، أو في أيَّام السنة الأخرى.

=الفقهاء، المكتبة المرتضويَّة لإحياء الآثار الجعفريَّة، (د.مك، د.ت)، ٢/ ٤٩٥.

(١) الحكيم، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، ص١٤٢-١٤٣

وفي الغالب فإنَّ بناء الحسينيَّة يأخذ الشكل المستطيل، كما هو حال المساجد في أغلب المدن الإسلاميَّة، ومع ذلك نجد تنوُّع في هندسة بناء الحسينيَّات من حيث الحجم واللون والاتِّجاه، وغيرها.

وأصبحت بعض الحسينيَّات في الكثير من أحياء المدينة بمثابة المركز والدلالة لذلك الحي، تؤدِّي الشوارع الرئيسة والفرعيَّة إليها، ويرشد السائل عن طريقها، بل إنَّ أحد الأحياء في مدينة الحِلَّة قد سمِّي باسم (حي الحسينيَّة)، وهذا يدلُّ دلالة أكيدة على مدى تأثير الثورة والشعائر الحسينيَّة على العمارة في مدينة الحِلَّة. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل إنَّ شكل هذه الحسينيَّات وتناسقها مع الأبنية الأخرى للمدينة كان قد أعطاها شكلًا موحَّدًا متناغمًا.

كما أنَّ أثر الثورة الحسينيَّة في هذا المجال يظهر بوضوح في أسماء تلك الحسينيَّات، إذ تزيَّنت أغلب الحسينيَّات بأسماء إمَّا تحمل اسم الإمام الحسين عليه السلام، أو أحد أصحابه، أو أهل بيته عليهم السلام، أو ما يدور في فلك ثورة الإمام الحسين عليه السلام. كما أنَّ اسماء بعض الحسينيَّات قد جمعت بين المسجد والحسينيَّة في اسمها بعد أن جمعت في وظائفها، فأصبحت تسمَّى للمثال وليس للحصر: مسجد وحسينيَّة الإمام الحسين عليه السلام ومسجد وحسينيَّة الزَّهراء عليها السلام، ومسجد وحسينيَّة عبد الله الرضيع، وغيرها الكثير[1]. ومن الحسينيَّات من امتزج اسمه باسم أحد أبناء الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، مثل مسجد وحسينيَّة عمران بن عليّ عليهما السلام[2].

إنَّ بناء الحسينيَّات يحتاج إلى إنشاء أماكن ملحقة فيها، مثل المخزن والمطبخ وأماكن

(١) الباوي، حسين عبد الرحمن، مرقد عمران بن عليّ عليهما السلام وقرية الجمجمة نظرات في التاريخ والتراث الشعبيّ، ط٢، د.مط، (دمك، ٢٠١٢م)، ص١٠٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١، ٣٩٥.

للطهارة من أجل الوضوء، فأُنشأت مرافق صحيَّة وأماكن للوضوء والاغتسال وغيرها، فكان لذلك أثره في البنية التخطيطيَّة للكتل المعماريَّة في مدينة الحِلَّة.

ومن آثار الحسينيَّات على الجانب العمرانيّ للحِلَّة هو الزخرفة وتنوُّعها، ومن أمثلة الزخرفة الفسيفساء والمرايا والخطوط والنقوش وغيرها، ولم يقتصر أمر الزخرفة على أسماء الحسينيَّات، بل إنَّ أغلبها قد كُتِب أو نُقِش على واجهاتها، بألوان وخطوط وأشكال مختلفة، الكثير من الآيات القرآنيَّة النازلة بحقِّ أهل البيت عليهم السلام، أو الأحاديث النبويَّة الشريفة، وكذلك أسماء المعصومين الأربعة عشر، أو أهل الكساء، أو أقوال مأثورة عن أهل البيت عليهم السلام، وغيرها الكثير، فزاد ذلك مسحة الجمال لهذه الحسينيَّات، وهي تقف شاخصة على الشوارع العامَّة منها والفرعيَّة، وشمل ذلك المشاهد والأضرحة والمقامات للعلماء والفضلاء في مدينة الحِلَّة[1].

ومن الآثار التي تبدو واضحة على أثر الثورة الحسينيَّة على فنِّ العمارة في مدينة الحِلَّة، هو غَلَبة اللون الأزرق والأخضر والذهبي على واجهات الحسينيَّات والأضرحة والمقامات، كما أنَّ بعض الحسينيَّات التي تحمل اسم مسجد وحسينيَّة تكون عليها قبَّة أو ومأذنة، أو الاثنين معًا.

وممَّا تجدر الإشارة إليه، هو أنَّ العمارة الإسلاميَّة عامَّة، ومنها العمارة في مدينة الحِلَّة، قد تميَّزت بتفضيل العمارة الداخليَّة عن الخارجية، فأصبح داخل المبنى زاخرًا بروائع الزخارف والصور والمرايا والجداريَّات والنوافذ وغيرها. لذا فالتنوُّع في تصميم وبناء الحسينيَّات، سواء في أحجامها، أو هندسة بنائها، أو الزخارف والزينة المعلَّقة فيها، والنقوش والكتابات، لاسيما في داخل الحسينيَّة، يعدُّ مظهرًا من مظاهر الأثر الحسينيّ على فنِّ العمارة في مدينة الحِلَّة، إذ نجد أغلب الحسينيَّات، إن لم تكن جميعها، تحوي

(١) الباوي، حسين عبد الرحمن، مرقد عمران بن عليّ عليهما السلام، ص٢١، ٣٩٥.

في داخلها على صور ونقوش وشعارات وآيات قرآنيَّة وأسماء تُشير بصورة مباشرة إلى تعظيم أهل البيت عليهم السلام، إذ إنَّ أصل بنائها والهدف منه واحد، وهو إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام عامَّة، ونصرة الإمام الحسين عليه السلام بخاصَّة(١).

كما إنَّ أثر الحسينيَّات في العمارة يتبيَّن من أنَّها قد حلَّت محلَّ بعض المباني في بعض المدن الإسلاميَّة، وفي ذلك ذكر الشيخ الكورانيّ: «إنَّ الخانقاهات والتكايا والزوايا، ما زالت موجودة في بلادنا الإسلاميَّة، وقد حلَّت مكانها في أكثر البلدان الحسينيَّات والنوادي الثقافيَّة والرياضيَّة، وأنواع المؤسَّسات الحكوميَّة والأهليَّة»(٢)، كما أُوقِفت أراضٍ كثيرة لبناء الحسينيَّات في المدن الإسلاميَّة(٣)، وهذا ترك آثاره على العمارة في مدينة الحِلَّة.

بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ الكثير من الحسينيَّات قد أُلحقت بها حدائق أختلفت أحجامها من واحدة لأخرى، وزُرِعت الكثير من حدائق الحسينيَّات بأنواع من النباتات والأزهار والأشجار، وسُيِّجت بعضها بأسيجة خشبيَّة أو معدنيَّة أو حجريَّة أو غير ذلك، وبألوان وأشكال مختلفة، فأضاف ذلك جماليَّة لمدينة الحِلَّة، وكان سببها بناء الحسينيَّات في أماكن مختلفة منها(٤).

وبصورة عامَّة لا يكاد أي حي من أحياء مدينة الحِلَّة يخلو من حسينيَّة، أو عدد

(١) جُمِعت هذه المعلومات من خلال الزيارات الميدانيَّة التي قام بها الباحث لعدد من الحسينيَّات في مدينة الحِلَّة.

(٢) العامليّ، عليّ الكورانيّ، كيف ردَّ الشيعة غزو المغول، المركز الثقافيّ للعلَّامة الحِلِّيّ، (بابل، ٢٠٠٦م)، ص٣٩٢.

(٣) الشيخ بشير، الشعائر الحسينيَّة ومراسيم العزاء النجفيّ، ط٦، مؤسَّسة الأنوار النجفيَّة، (النجف الأشرف، ٢٠١٣م)، ص١٧٨.

(٤) زيارات ميدانيَّة قام بها الباحث لعدد من الحسينيَّات في مركز مدينة الحِلَّة.

من الحسينيات بل قد يتعدى عدد الحسينيات في الحي الواحد من الأحياء الشعبية في مدينة الحِلَّة أكثر من عشرين حسينية كما في حي الثورة والبكرلي والجزائر وحي نادر وحي الإمام علي عليه السلام وغيرها من الأحياء الأخرى، بل أن الشارع الواحد قد تكون فيه اكثر من حسينية، وهذا بطبيعة الحال يشكل جزء أساسي وكبير من مساحات الأحياء السكنية وبنيتها العامة مما يضفي عليها طابع روحي وديني لها ارتباطه الوثيق بالثورة الحسينيَّة الخالدة، ويقف شاهدا حيا على الأثر الكبير التي انتجته الثورة والشعائر الحسينيَّة على العمارة في مدينة الحِلَّة.

لذا فان بناء الحسينيات سواء في مركز المدينة أو الاقضية والنواحي قد أثر على شكل العمارة في مدينة الحِلَّة إذإنّ الداخل اليها سيرى ومنذ أول الوهلة الأولى بأن أهلها إمامية اثنى عشرية. وفي نهاية الأمر فان الحسينيات تعد من علامات مدينة الحِلَّة المميزة ولها آثارها الواضحة على مجمل حياة الحِلِّيّين لا سيما الجانب العمراني منها وما ذلك إلَّا أثرٌ من الآثار الكبيرة التي تركتها الثورة الحسينيَّة على مجمل الحياة الحضاريَّة في المدن الإسلاميَّة عامة.

ثانيًا: بناء المواكب الحسينيَّة وآثارها على العمارة في مدينة الحِلَّة

في ظلِّ الأهميَّة المكانيَّة والحضريَّة التي يتمتَّع بها مركز المدينة، فهو دائمًا ما يتعرَّض إلى ضغط سكَّانيّ واقتصاديّ هائل من قِبَل جميع سكَّان المدينة، فضلًا عن زائريها وسوَّاحها، وهذا الضغط يسلَّط عليها من جانبَين، الأوَّل: محلِّي، والثاني: إقليميّ، لذا تقوم الكثير من المدن باستحداث وتطوير مراكز ثانويَّة بديلة عن مراكزها؛ غايتها التخفيف من الضغوط السكَّانيَّة على منطقة المركز، وتُعرَف هذه المراكز بأنَّها المناطق الخدميَّة التي تحيط بمركز المدينة، والتي ترتبط بدورها بِصِلات وتأثيرات وثيقة ومتبادلة، يكون لها

دور كبير في تقديم الخدمات والبضائع التي تعدُّ ضروريَّة بالنسبة لسكَّان المدينة، وتمثِّل هذه المراكز الثانويَّة دورًا خدميًّا لا يمكن الاستهانة به، كونها تقوم بتوفير المستلزمات الأساسيَّة والثانويَّة لسكَّان المدينة ضمن مناطق سكناهم داخل الأحياء والمحلَّات السكنية، من دون التوجُّه بجميع متطلَّباتهم للمركز لتلبيتها، ممَّا قد يخفِّف من الضغوط الخدميَّة التي يتعرَّض لها المركز[1]، وهذا ما حدث في مدينة الحِلَّة متأثِّرةً بالثورة والشعائر الحسينيَّة.

تحتضن مدينة الحِلَّة عددًا كبيرًا من المواكب الحسينيَّة، ويمكن تقسيم المواكب إلى: مواكب دائميَّة، ومواكب مؤقَّتة، ومن المواكب الدائميَّة الأولى في مدينة الحِلَّة: موكب محلَّة الأكراد والجامعين والطاق وجبران والسنيَّة والمهديَّة والجبَّاويِّين والتعيس والگلج والورديَّة[2]. وبعد ذلك أُنشأت الكثير من المواكب الدائميَّة إمَّا بصورة مفردة، أو أُلحِقت بالحسينيَّات، وهي منتشرة بصورة كبيرة في مركز مدينة الحِلَّة والأقضية والنواحي.

أمَّا المواكب الخدميَّة التي أُسِّست لتقديم الخدمات في المناسبات الدينيَّة، ولزوَّار أربعينيَّة شهداء الطفِّ عامَّة، والإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العبَّاس عليهما السلام خاصَّة. فيمكننا القول بأنَّ مدن العراق عامَّة، والحِلَّة منها، قد شهدت حركة في هذا الجانب بعد سقوط نظام الطاغية عام (٢٠٠٣م)، وبالأخص المواكب الحسينيَّة على الطرق المؤدِّية إلى كربلاء المقدَّسة، فأي معاصر لوقتنا هذا يمكنه أن يلاحظ ذلك بكلِّ وضوح، لاسيما في زيارة أربعينيَّة الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ اخذت هذه المواكب تقام على جانبي الطرق التي يسلكها زوَّار الإمام الحسين عليه السلام، وبلغت من الكثرة أنَّها قد

(١) الجميلي، المدن الدينيَّة أنواعها وخصائصها الحضريَّة، ص٥.

(٢) للمزيد من التفاصيل ينظر: هادي، الحِلَّة محلَّاتها بيوتاتها أزقَّتها، ص٤١، ٣٣٩.

تركت أثـرًا كبيرًا في نفوس الناس في مركز مدينة الحِلَّة، والأقضية والنواحي، والأحياء السكنيَّة.

وبالرغـم من ذلـك، فإنَّ أثر المواكب الحسـينيَّة والخدميَّة منهـا خاصَّة على العمارة في مدينـة الحِلَّة يتجـلَّى بصورة أكبر على الطرق التي تربط المـدن العراقيَّة بمدينة كربلاء المقدَّسـة. وقد شـهد هذا الجانـب العمرانيّ في مدينـة الحِلَّة بعد عـام(٢٠٠٣ م) تطوُّرًا سريعًـا، إذ بدأ بناء هذه المواكب يزداد عامًا بعد عام، حتَّى أصبحت عبارة عن سلسـلة متلاصقـة في المناطق التي ينطلق منها الزوَّار، على طول الطرق التي يسـلكها الزائرون، وصولًا إلى كربلاء المقدَّسـة، إذ إنَّ هذه المواكب تقام على جوانب تلك الطرق، وتكون متقاربة إلى درجة كبيرة في بعض المناطق، أو متلاصقة أحيانًا، لاسيما في الشوارع الداخليَّة للمدينة، مثل شارع (٦٠)، والشارع الرئيس بين الحِلَّة وكربلاء المقدَّسة، وبعضها يبتعد عن بعضه البعض وبمسـافات متفاوتة في القرى والأرياف. ومن الشوارع التي شملها التأثُّر العمرانيّ بهذه المواكب الخدمية: شـارع الحِلَّة- النجف الاشرف، وشـارع الحِلَّة- الديوانيَّة، وشـارع الحِلَّة- الحمزة الغربي، وشـارع الحِلَّة- بغداد، وشـارع سيف سعد، كما أنَّ الطريق الرابط بين الحمزة الغربيّ ومدينة الحِلَّة، بجوار سـكَّة القطار، قد شهد هو الآخر ثورة عمرانيَّة في بناء المواكب الخدميَّة بعد سقوط نظام الطاغية صدَّام[1].

فوجود هذه المواكب على أغلب الشوارع في مدينة الحِلَّة من الآثار العمرانيَّة للثورة والشـعائر الحسـينيَّة على مدينة الحِلَّة، وهذا أدَّى إلى ترابط المناطق والمحلَّات السـكنيَّة بنظـام عضـويّ، فخلق انسـجامًا كبيرًا بـين الوظائف، يحاكـي في تطـوُّره طوبوغرافيَّة عمرانيَّة تحاول هي الأخرى مدَّه بوسـائل وطرز عمرانيَّة تجسِّـد البعد الوظيفيّ للمدينة من ناحية أخرى، وبروز نظام نقل متكامل بين تلك الشوارع، يحاول أن يحقِّق سهولة في

(١) عاصر الباحث هذه الأحداث، وهو شاهد عيان على هذه الآثار.

الوصول إلى قطاعات المدينة المختلفة، بما فيها المناطق التي تشهد إقامة الشعائر الحسينيَّة، ممَّا عمل على تدرُّج كبير في أنظمة الشوارع والأزقَّة والمسارات التي تربط مركز المدينة بمحيطها، ممَّا يعكس حالة عمرانيَّة قد لا توجد في أماكن أخرى.

كما يتبيَّن أثر هذه المواكب على العمارة في مدينة الحِلَّة في تلك المساحات الكبيرة من الأراضي التي تقام عليها، والتي أخذت بالتطوُّر عامًا بعد عام.

وتختلف الإحصائيَّات الخاصَّة بعدد المواكب الحسينيَّة في المدينة باختلاف الجهات المسؤولة عنها، وتشير هيئة المواكب الحسينيَّة إلى وجود أكثر من (٢٠٠٠) موكب تنتشر في مركز المحافظة وأقضيتها ونواحيها، كانت قد سجِّلت لديهم وفق استمارات خاصَّة في عام (٢٠١٤م)[١].

إنَّ الأثر الأكبر لهذه المواكب الخدميَّة على العمارة في مدينة الحِلَّة تمثَّل بتحوُّلها إلى مواكب دائميَّة مشيَّدة، لها كتلها المعماريَّة الخاصَّة بها على طرق الزائرين. ومن خلال لقاء نائب الأمين العام لهيئة المواكب في مدينة الحِلَّة[٢]، أخبرنا بأنَّ: هناك مواكب دائميَّة قد شيِّدت على طرق الزائرين بعد حصول الموافقات الأصوليَّة على ذلك، كما أنَّ هناك طلبات تَرِدنا لبناء مثل هكذا مواكب، وأنَّ الكثير من الأراضي التي تُبنى عليها هي من تبرُّعات الأهالي.

ومن الآثار الناتجة عن الثورة الحسينيَّة في مدينة الحِلَّة، أنَّها وخاصَّة في موسم الزيارة الأربعينيَّة للإمام الحسين عليه السلام، تتحوَّل المدينة بمركزها وأقضيتها ونواحيها إلى ميدان

(١) مقابلة شخصية مع الشيخ رزاق كشاش محمَّد، نائب الأمين العام لهيئة المواكب الحسينيَّة في بابل/ المقر العام، يوم الخميس ٦/ ٢/ ٢٠١٤م، الساعة التاسعة والنصف صباحًا، في مقر بناية هيئة المواكب الحسينيَّة في بابل.

(٢) المصدر نفسه.

للشعائر الحسينيَّة، فتطغى الوظيفة الدينيَّة في كلِّ عام من الزيارة على بقيَّة الوظائف والفعَّاليَّات الحضريَّة الأخرى؛ لما لها من حضور وفاعليَّة وسيادة على قطاعات المدينة المختلفة، فطبيعة الزيارة الأربعينيَّة وما يطغى عليها من جوانب روحيَّة وإيمانيَّة، يجعلها السمة البارزة في أوقات الزيارة، أو ما يرافقها من جوانب (روحيَّة، شعائر دينيَّة، سياحة تراثيَّة ودينيَّة) جعل لها سيادة واضحة على مختلف القطاعات الاقتصاديَّة الأخرى.

ومع الوقت أصبحت الفعَّاليَّات الاقتصاديَّة المرتبطة بالمواكب الحسينيَّة والمناسبات الدينيَّة تقدِّم مجموعة من الوظائف الحضريَّة التي وجدت لأجلها، وهذا أدَّى إلى خلق وتوفير سلع وبضائع وخدمات متنوِّعة (ماديَّة وغير ماديَّة)، موجَّهه لخدمة سكَّان المدينة وغيرهم من الزوَّار من الداخل والخارج، فخلق حالة من الحركة التجاريَّة الداخليَّة، وحركة اقتصاديَّة لها آثارها الاقتصاديَّة على المدينة وأهلها.

ثالثًا: آثار الثورة الحسينيَّة على بناء المدارس الدينيَّة

كما بيَّنا سابقًا، فإنَّ أهل مدينة الحِلَّة غالبيَّتهم شيعة إماميَّة، ومن ثمَّ فإنَّ ذلك قد ترك آثارًا كبيرة على مفاصل الحياة فيها، ومنها العمارة الدينيَّة، واشتهرت هذه المدينة منذ نشأتها الأولى بحبِّها وتشجيعها للعلم والعلماء، فأدَّى ذلك إلى نشوء مدارس جديدة، وأماكن لإقامه الدرس فيها[1].

وقد أصبحت الحِلَّة منذ سلامتها من تخريب المغول مركزًا علميًّا، ومن كبريات مراكز العلم في العالم الإسلاميّ، وازدهرت هذه المدينة بالفقهاء والمحدِّثين والمفسِّرين والحكماء والأدباء والشعراء، وبالمدارس العلميَّة، وحفلت هذه المدارس بأعداد كبيرة من الطلبة الوافدين إلى الحِلَّة من الشام وإيران والمدن العراقيَّة

(١) كمال الدين، هادي السيِّد حمد، فقهاء الفيحاء، المعارف، (بغداد، ١٩٦٢م)، ١/ ٢٠.

والجزيرة[١]. ومن المدارس الدينيَّة التي اشتهرت في الحِلَّة، مدرسة صاحب الزمان[٢]، التي أسَّسها العالم الشيخ جعفر بن محمَّد بن نما الحِلِّيّ، والمدرسة الزينبيَّة[٣]، ومدرسة ابن إدريس الحِلِّيّ[٤]، ومدرسة يحيى بن سعيد الهذليّ[٥]، ولكن تعاقب الحكومات المناهضة للشيعة على مرِّ العصور كان قد فرض قيودًا كثيرة على بناء المدارس الخاصَّة بالإماميَّة، لاسيما في مدينة الحِلَّة.

وفي وقتنا الحاضر، وبعد سقوط نظام الطاغية صدَّام، بدأت تظهر المدارس والمؤسَّسات الشيعيَّة ذات الصبغة الدينيَّة، والتي تهدف إلى النهوض بالواقع العلميّ والتربويّ والثقافيّ، وغيرها من المجالات في محافظات العراق عامَّة، ومنها مدينة الحِلَّة، ومن المدارس الدينيَّة في الحِلَّة: مدرسة المحقِّق الحِلِّيّ في حي نادر، ومدرسة ابن طاووس الدينيَّة في حي الماشطة، وكذلك هناك مدرسة نسوية دينيَّة تابعة للعتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة في حي الإمام، وقد زُيِّنت هذه المدارس بآيات قرآنيَّة، وبعبارات وشعارات دينيَّة تهدف لإقامة الدين الحنيف، ونصرة أهل البيت عليهم السلام[٦]. كما أنَّ الكثير من الحسينيَّات والمساجد

(١) الشيخ الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)،المحقِّق الحِلِّيّ (ت٦٧٦هـ)، النهاية والنكت، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلامي، (قم، ١٩٩١م)، ١/ ١٠٦.

(٢) كركوش، أعلام الحِلَّة، ٢/ ٢٧.

(٣) ابن فهد الحِلِّيّ، العلَّامة جمال الدين، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن فهد الحِلِّيّ (ت٨٤١هـ)، المهذّب البارع في شرح المختصر النافع، تحقيق: الشيخ مجتبى العراقيّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، (قم، ١٤٠٧هـ)، ١/ ١٢، عوض، عبد الرضا، الحوزة العلميَّة في الحِلَّة نشأتها وانكماشها الأسباب والنتائج ٥٦٢/ ٩٥١هـ، دار الفرات للثقافة والفنون، (بابل،٢٠١٣م)، ص٢٢٣.

(٤) ابن إدريس الحِلِّيّ، أبو جعفر محمَّد بن منصور بن أحمد (ت٥٩٨هـ)، مقدِّمة تفسير منتخب التبيان، تحقيق وتقديم: السيِّد محمَّد مهدي الموسويّ الخرسان، العتبة العلويَّة المقدسة، (النجف الأشرف، ٢٠٠٨م)، ص١٢٩.

(٥) عوض، الحوزة العلميَّة في الحِلَّة، ص٢٢٤-٢٢٦.

(٦) مشاهدات شخصيَّة قام بها الباحث.

قد أصبحت بمثابة مدارس دينيَّة في الوقت ذاته، والعتبة الحسينيَّة المقدسة تقوم في هذا الوقت ببناء مركز ثقافيّ كبير من سبعة طوابق في مركز مدينة الحِلَّة في شارع (٤٠)، خلف بناية هيئة الأوقاف والشؤون الدينيَّة.

وكذلك فقد شيدت مكتبات ومراكز علمية دينيَّة في مدينة الحِلَّة تعنى بالفكر الإسلامي عامة والشيعي خاصة ومنها مكتبة العتبة الحسينيَّة في مركز مدينة الحِلَّة وبالقرب من مديرية تربية بابل. ومركز تراث الحِلَّة ومدارس دينيَّة نسوية تتبع للعتبتين الحسينيَّة والعباسية. ومركز العلامة الحِلِّيّ في نفس بناية متحف بابل مجاور لشارع الأطباء في مركز مدينة الحِلَّة وكذلك مقام صاحب الزمان ومشهد الشمس وغيرها الكثير، ومرقد العلوية شريفة بنت الإمام الحسن عليه السلام.

رابعًا: المراقد والمقامات وآثارها على العمارة في مدينة الحِلَّة

اشتهرت مدينة الحِلَّة في عُرفِ أهل العلم بأنَّها مدينة العلم والعلماء، ولم تأتِ هذه التسمية من فراغ، بل لأنَّها أنجبت واحتضنت علماء أفذاذ، حملوا على عاتقهم راية الإسلام، ونصرة محمَّد وآل محمَّد (عليهم الصلاة والسلام).

عُرِف عن أهل الحِلَّة حبُّهم وتعظيمهم للرموز الدينيَّة والأعلام المرتبطين بأهل البيت عليهم السلام، وخاصَّة العلويُّون، فكان ذلك ممَّا أثَّر على العمارة في مدينة الحِلَّة، إذ وقفت المراقد والمشاهد والمقامات لتلك الشخصيَّات في كافَّة مناطق مدينة الحِلَّة، سواء في المركز أو الأقضية والنواحي، حتَّى أنَّ الحِلَّة قد عُرِفت باسم مدينة العلماء، كما أسلفنا، وبلغ من كثرتها وأثرها على مجمل حياة الحِلِّيّين عامَّة، والعمارة خاصَّة، أن ألَّف أحد الباحثين كتابًا خاصًّا بتلك العمارة[1]، أو ضمنًا تذكر تلك المراقد والمشاهد والمقامات

(١) هادي، الحِلَّة، محلَّاتها بيوتاتها أزقَّتها، ص٢١، ٥٤٥.

في مدينـة الحِلَّة، فقد بلغ عـدد المراقد والمقامات الدينيَّة في مدينـة أكثر من (٩٥) مرقدًا ومقامًا[١].

وأصبحت تلك المراقد والمشاهد مراكز للتجمُّعات السكَّانيَّة حولها، ومن ذلك مقام بكر بن عليّ، وعمران بن عليّ، والحارث، وعليّ بن الحسين في ناحية الإمام بين المحاويل وكوثى، وتزخر منطقة السـياحي بين مركز مدينة الحِلَّـة والحمزة الغربيّ بالعشرات من المراقد والمشاهد التي تُنسَب إلى العلماء أو السادة أو أبناء وبنات الأئمَّة المعصومين عليهم السلام، ولنـا أن نتصوَّر أثـر هذا العدد الكبير مـن المراقد والمقامات للعلماء والسـادة والعلماء، مـع ما يحملونه من قدسـيَّة في نفوس النـاس، في البناء والعمارة والتخطيط والشـوارع والخدمات على مجمل التخطيط العمرانيّ للمدينة، سواء في المركز أو الأقضية والنواحي والقـرى والأرياف، إذ أصبحت مراكز للسـكن، يبني الناس بيوتهـم حولها، وبالقرب منها.

(١) الخفاجـيّ، ثامر، المراقد والمقامات البهيَّة في الحِلَّة السـيفية، مطبعة الصادق، (بابل، ٢٠١٣م)، ص٢٨، ٣٣٤.

المبحث الثاني

آثار الثورة والشعائر الحسينيَّة على العمارة العامَّة في مدينة الحِلَّة

أوَّلًا: الشوارع والأحياء السكنيَّة

لو دقَّقنا النظر في دراسة العمران وطراز البناء في المدن الإسلاميَّة، وتتبَّعنا تطوُّر حلقاته، لوجدناه متلازمًا، وله صلة أكيدة مع كلِّ منسك وفريضة إسلاميَّة، حتَّى العبادات التي تظهر وكأنَّها لا علاقة لها بحركة العمران والبناء، لكن عند التمحيص والتدقيق، يتَّضح دورها البارز والأكيد في كلِّ مفصل من مفاصل البناء والهندسة، فالمسلم، بشعور أو دون شعور، يستمدُّ التخطيط والهندسة وعمران بيته ومدينته من خزين المعرفة الدينيَّة، وخلفيَّة تمسُّكه بمذهبه، وأدائه للفرائض والمناسك والشعائر والعادات والتقاليد، وهذه الآثار تجسَّدت في التخطيط العمرانيّ لمدينة الحِلَّة الفيحاء. والظاهر يقول إنَّ لمدينة الحِلَّة خبرات متراكمة في مسألة استقبال الوفود والتجَّار والزائرين منذ بدايات تأسيسها، فهي كانت محطَّة لتجمُّع الحجَّاج قبل ذهابهم إلى الكوفة، ومن ثمَّ إلى مكَّة المكرَّمة، وكذلك كانت محطَّة رئيسة للطريق التجاريّ البرِّيّ بين بغداد والكوفة، وبهذا فقد كانت مدينة الحِلَّة المنطقة الرئيسة في عمارتها وسكانها[1].

إنَّ أصول بناء مدينة الحِلَّة كانت على أسس دينيَّة متأثِّرة بصورة غير مباشرة بالثورة الحسينيَّة، كما اشرنا إلى ذلك سابقًا، وامتدَّ هذا التأثير على قيام الأحياء السكنيَّة الكبيرة

(١) الغزاليّ، البُعد الجغرافيّ للوظيفة السكنيَّة في مدينة الحِلَّة، ص٥١.

في مدينة الحِلَّة، فنلاحظ أنَّ أكبر اتِّجاه لتوسُّع المدينة، وأكبر الأحياء السكنيَّة، وأكثرها في محافظة بابل قد قامت على محور طريق (حِلَّة- كربلاء)، أي الجانب الغربيّ، إذ يضمُّ محلَّات (الثورة، والحكَّام، وحي الطيَّارة، و١٧ تموز (البلدية)، وحي الإمام عليّ عليه السلام، وحي الضبَّاط (محيزم)[١]. وشمل هذا المحور، فضلاً عن محور حِلَّة- طهمازيَّة، محلَّات (الجمعيَّة، وحي الحسين عليه السلام، والكرامة، والمرتضى (المصلحة)، والإصلاح، وهي أحدث المحلَّات التي ظهرت قبل إعداد التصميم الأساسيّ الأوَّل[٢].

كذلك شهد الجانب الغربيّ لمدينة الحِلَّة، وتحديدًا الأحياء التي قامت غرب شارع ٦٠، توسُّعًا كبيرًا، يمثِّل ثلث مساحة الاستعمال السكنيّ في المدينة، ويضم محلَّات: (المحاربين، الأساتذة، الشهداء مكروري، الشهداء ويسية، المفقودين، المعوَّقين، العمارات السكنيَّة، نوَّاب الضبَّاط الأولى والثانية، المهندسين، الضبَّاط ويسية، الأكرمين)، فضلا عن قرى: (حمزة الدلِّي، مانع وفزع علَّاوي، الطينيَّة، كاظم أبو خطَّة)، وهي من أحدث المناطق السكنيَّة التي ظهرت بعد ثمانينيَّات القرن الماضي[٣].

وبصورة عامَّة، فإنَّ مدن العراق، وخاصَّة الوسط والجنوب، باستثناء النجف وكربلاء وسامراء، وعلى نطاق محدود، كانت قبل (٢٠٠٣ م) كحال باقي المحافظات، تنقسم خدماتها إلى سكنيَّة وصناعيَّة وزراعيَّة وترفيهيَّة، لكن بعد عام (٢٠٠٣م)، وبتأثير مباشر للثورة والشعائر الحسينيَّة على العمارة، ظهرت في مدن الوسط والجنوب، ومنها مدينة الحِلَّة، الوظيفة الدينيَّة للمدينة، وتتجلَّى هذه الوظيفة بشكلٍ خاصٍّ في زيارة الأربعين، فنجد أنَّ أغلب سكَّان مدينة الحِلَّة مع عوائلهم وأُسرهم يتوجَّهون صوب

(١) الغزاليّ، البُعد الجغرافيّ للوظيفة السكنيَّة في مدينة الحِلَّة، ص١٥٩.
(٢) المصدر نفسه، ص١٦٠.
(٣) المصدر نفسه، ص١٦٠.

طرق الزائرين لتقديم الخدمات المختلفة لهم في المواكب الحسينيَّة الكثيرة والمصطفَّة على طول طرق الزائرين.

إنَّ لموقع مدينة الحِلَّة في وسط العراق، وربطها بين كربلاء ومحافظات عديدة في وسط وجنوب العراق، أدَّى إلى زيادة كثافة المرور فيها، لاسيما في المناسبات الدينيَّة ذهابًا إلى كربلاء والنجف، ممَّا فرض عليها الاهتمام بالطرق والخدمات العامَّة وما يرافقها، لتقديم الخدمات للزائرين، وشهد العراق بعد عام (٢٠٠٣ م)، وانهيار النظام المعادي للشيعة الإماميَّة في العراق، تحوُّلات كبيرة، لاسيما في مجال العمران بعامَّة، والبناء الدينيّ بخاصَّة، فشهدت محافظات الوسط والجنوب ثورة في البناء، وخاصَّة المواكب والحسينيَّات على طرق الزائرين، وشهدت الشوارع تحوُّلات كثيرة لاسيما السكن بمحاذاة طرق الزائرين إلى كربلاء المقدَّسة، فظهرت شوارع عديدة حملت أسماء وسمات طرق الشعائر الحسينيَّة، واشهرها طريق (يا حُسين).

وبعد عام (٢٠٠٣ م) وحصول الشيعة على الحريَّة الدينيَّة، ورفع المنع عن الزيارات، وإقامة الشعائر الحسينيَّة، حدثت تطوُّرات كثيرة على كافَّة الأصعدة، ومنها استعمالات الأرض وبخاصَّة ما ارتبط منها بإقامة الشعائر الدينيَّة، فنَما هذا الجانب نموًّا كبيرًا في الهيكل العمرانيّ ومساحته واستعمالاته وطبيعة البناء فيه، وما رافقه من خدمات في الماء والكهرباء والاتِّصالات والمواصلات والخدمات الاجتماعيَّة والإداريَّة، وكان النمو واضحًا بشكلٍ أساسيٍّ على طرق الزائرين المؤدِّية إلى كربلاء المقدَّسة، وهذا شاهد حي على الأثر الكبير الذي تركته الثورة والشعائر الحسينيَّة على العمارة في مدينة الحِلَّة واقضيتها ونواحيها، من أبعد نقطة فيها، مرورًا بمركزها، وصولًا إلى كربلاء المقدَّسة.

ومـن الآثـار الواضحة للثورة الحسـينيَّة على العـمارة في مدينة الحِلَّة، هـو أنَّ عددًا مـن الشـوارع في الأحياء السـكنيَّة، قد حملت أسـماء أهـل البيت عليهم السلام، سـواء في مركز المدينـة أو الأقضية والنواحي، مثل شـارع الإمام الحسـين عليه السلام، وسـمِّي بذلك منذ عام ١٩٥٨م[١]، وحـي الحسـينيَّة بجـوار شـارع (٦٠) في المنطقـة الغربيَّة مـن مركز مدينة الحِلَّة، وشـارع أم البنين في حي المهندسـين، وحي الزَّهراء، وحي الحسـين عليه السلام، وشارع الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في مركز مدينة الحِلَّة، وشـارع البتول الذي يُعرَف بشـارع (٣٠)، وحي المرتضى قرب الطبِّ العدليّ، وشـارع الإمام عليّ عليه السلام، وحي الإمام، وحي الرضـا، وغيرهـا، كلُّ ذلك متأثِّرًا بصورة مباشرة بالشـعائر الدينيَّة، لاسـيما الحسـينيَّة منها.

ولم تقتـصر آثار الثورة الحسـينيَّة على أعـلام واقعة الطفِّ، بـل إنَّ من خطباء المنبر الحسـينيّ من أُطلق اسـمه على حي من الأحياء، مثلما اطلق اسم: مدينة الوائلي على حي الثـورة سـابقًا، كما أنَّ المجـسَّرات الكبيرة في الحِلَّة قـد تأثَّرت بذلك، فسـمِّيت بعضها بتلك الأسـماء، مثل مجسَّر الحسـنين عليهما السلام الرابط بين الحِلَّة وكربـلاء وبغداد قرب مدينة الوائـلي، وكذلك مجسَّر البتول الرابط بين الجمعيَّة وشـارع (٦٠) والطهمازيَّة، وشـارع ابن إدريس، وابن طاووس، ومراقد العلماء، وشـارع أبو القاسم، وباب الحسين، وباب المشهد، وغيرها.

ومن آثار الثورة الحسـينيَّة على العمارة في مدينة الحِلَّة، هو أنَّها خلقت بؤر استيطانيَّة جديدة أدَّت إلى انفتاح المدينة إلى خارج المركز المكتظِّ بالسـكَّان فتحوَّلت طرق الزائرين إلى مراكز استيطانيَّة بشريَّة بعد عام (٢٠٠٣ م)، مستفيدة من الرمزيَّة الدينيَّة لهذه الطرق والخدمات التي تقدَّم فيها، وسـهولة ربطها بمركز المدينة، وهذا بفضل الثورة الحسينيَّة

(١) كركوش، تاريخ الحِلَّة، ص٢٥٠.

المباركـة، ومـن آثارها الإيجابيَّـة في البناء والعمـران، وأصبحت هذه الشـوارع محلَّات تجارية وصناعية وخدمية وغيرها.

وكما أسـلفنا، فإنَّ من الشـوارع التـي خصِّصت لزوَّار أبي عبد الله الحسـين عليه السلام في مدينـة الحِلَّة، هو شـارع (يا حسـين)، الذي شـمل محافظات عدَّة من وسـط وجنوب العـراق، وصولًا إلى كربلاء المقدَّسـة، مرورا بمدينة الحِلَّة، ولا زال العمل مسـتمرًّا في هذا الشـارع الذي ترك وسـيترك آثارًا واضحة عـلى العمارة في مدينـة الحِلَّة، من حيث بناء الدور والمواكب الحسـينيَّة على طول امتداده، حيث يمتدُّ هذا الطريق من أوَّل نقطة دخول محافظة بابـل جنوبًا، بمحاذاة محافظة الديوانيَّة، ويبلغ طول هذا الطريق أكثر من (٦١كم)، حتَّى حدود بلدية مدينة الحِلَّة عند طويريج.

ومـن آثـار الثـورة الحسـينيَّة على العـمارة في مدينـة الحِلَّة هـو اللوحـات والقطع والجداريَّـات الكبـيرة والمتوسِّـطة والصغـيرة في السـاحات العامَّة والشـوارع المؤدِّية للأحياء، والتي تحمل شعارات ورسـوم مختلفة بألوان وخطوط وأشكال متنوِّعة تجسِّد الثـورة الحسـينيَّة ومعانيهـا وأهدافها الخالـدة[1]، فضلاً عن ذلك، فإن هنـاك عددًا من الأزقَّة (العگود) في مركز مدينة الحِلَّة، قد سـمِّيت متأثِّرة بالثورة الحسـينيَّة، ومنها عگد بنات الحسن، وهو من العگود الرئيسة في محلَّة جبران.

وللكتابـة دور كبـير في إبـراز هـذا الأثـر، إذ احتلَّـت الكتابـة في فنون الإسـلام مكانـة مهمَّة وبـارزة في العمارة الإسـلاميَّة، وفي أشـكال الحفر على الحجـر والزخرفة بالطوب أو على البلاطات الخزفيَّة أو الأخشـاب والمعادن والمنسـوجات وغيرها؛ فلقد اسـتخدمت الكتابة العربيَّة على مرِّ العصور في جميع ميادين العمارة والفنون الإسـلاميَّة كنـوع مـن الزخرفـة، واحتلَّ الخـطُّ الكوفيّ مـكان الصـدارة في العمارة الإسـلاميَّة في

(١) من خلال مشاهدات الباحث الميدانيَّة.

القـرون الأولى، وذلـك في الكتابـات الرسـميَّة والتذكاريَّـة والتسـجيليَّة عـلى العمائر وغيرها[1].

وللمراقد دَور عمرانيّ بارز في تطوُّر المدن الإسلاميَّة، إذ إنَّها قطب الرحى، والركيزة الأولى لانطلاق البناء، بل قد يكون للمرقد دور أكبر من المسجد في هذا الجانب، باعتبار أنَّ هـذه المدينـة أو تلك قد قامت أساسًـا على وجوده[2]، كما حـدث في مدينتَي النجف وكربلاء، وقد امتدَّ هذا الأثر إلى المدن الأخرى المجاورة للمدن المقدَّسة، والحِلَّة إحدى المدن التي شملها الأثر الحسينيّ في نواحٍ عدَّة، منها الناحية العمرانيَّة.

ونرى أثر الثورة الحسـينيَّة على العمارة العامَّة، وتخطيط مدينة الحِلَّة بأنَّ هناك أحياءً وبؤرًا اسـتيطانيَّة أخذت تنشـأ، خاصَّةً عـلى طريق الزائرين، وهـذا بطبيعة الحال يعود إلى عوامل الإيديولوجيـا والفكر الدينيّ والروابط الاجتماعيَّـة والأسريَّة، وحتَّى تأدية الطقوس الشـعائر الدينيَّة التي أصبح لها تأثير في توجُّه السـكَّان، ورغبتهم في السـكن بالقرب من انتماءاتهم المذهبيَّة، أو ما يمكِّنهم أن يكونوا بالقرب من الطرق التي تمكِّنهم من ذلك، لذلك نجد أن هناك عددًا كبيرًا من السكان قد توجَّهوا للبناء والسكن خارج مركز المدينة، بمحاذاة طريق (يا حسـين)، وطـرق الزائرين الأخرى، وهذه الدور التي بدأت بالانتشـار سريعًا بعد عام (٢٠٠٣ م) أصبح سكَّانها يبنون مع كلِّ دار حسينيَّة أو موكب دائم يُلحَق بالكتلة العمرانيَّة للبيت، يؤدِّي وظيفته الدينيَّة في الزيارة الأربعينيَّة، أو في المناسبات الدينيَّة الأخرى.

(١) الطحَّان، عبد الله عبد السـلام، العمارة الدينيَّة الإسـلاميَّة في القـرن الثالث عشر والرابع عشر للهجـرة دراسـة آثاريَّـة معماريَّة وفنيَّـة، العلم والإيمان للنـشر والتوزيع، (دسـوق، ٢٠٠٩م)، ص٤١٤.

(٢) الكرباسـيّ، محمَّـد صـادق محمَّد، دور المراقد في حيـاة الشـعوب، ط٣، دار الضياء، (النجف الأشرف،٢٠١٣م)، ص١١١.

وبذلك، فإنَّ حبَّ أهل الحِلَّة عامَّة للإمام الحسين عليه السلام، قد جعل الكثير من الناس تبني بيوتها بالقرب من الشوارع الرئيسة المؤدِّية إلى كربلاء المقدَّسة، وأخذت التجمُّعات السكنيَّة تظهر بكثافة على طريق الحِلَّة- كربلاء، فنجد أنَّ أكثر كثافة سكانيَّة وتجمُّع للأحياء السكنيَّة ما بين الحِلَّة وكربلاء، يكون قرب الشارع الرئيس الرابط بين المدينتَين، بل إنَّ أسعار قطع الأراضي، سواء السكنيَّة أو الزراعيَّة، وكذلك البيوت التي تكون قريبة من هذا الشارع أعلى سعرًا من غيرها، إذا ما أخذنا بالابتعاد عن الشارع العام. ومن الأحياء السكنيَّة والنواحي التي تأثَّرت بذلك، هي: حي شبَّر، وحي الإمام عليّ عليه السلام، وحي المحاربين، وحي الحسين عليه السلام، وحي الوائليّ (الثورة سابقًا)، وحي المعرفة الأوَّل والثاني (١٧ تموز سابقًا)، وحي الإمام عليّ عليه السلام، وحي الضبَّاط، وحي القضاة، وحي الطيَّارة، وأبو خستاوي، وناحية أبي غرق وقراها التي تقع على هذا الشارع، وكذلك كلُّ المناطق التي تقع بمحاذاة طريق (يا حسين).

ثانيًا: آثار الثورة والشعائر الحسينيَّة على عمارة دوائر الدولة والمدارس الحكوميَّة

إنَّ ضخامة المبنى وضآلته وزخارفه يجب أن تكون متوافقة مع الطراز والصورة والجوانب الجماليَّة المرغوب فيها من زخارف وألوان، وأن تكون صورة تعكس جوانب ثقافة المجتمع والفرد ومعتقده وإمكاناته الماديَّة والعقليَّة وغيرها، إلَّا أنَّ السياسة، وبالذات التي تنتهجها الحكومات الديكتاتوريَّة، قد تحاول أن تفرض فلسفتها في الحكم والثقافة، بل وحتَّى في البناء، على المجتمع الذي تسود فيه، ومنها الجانب المعماريّ، وهذا كان ديدن أغلب الحكومات التي تعاقبت على حكم العراق، وبالأخص حكومة حزب البعث المنحل.

مـرَّ بناء المـدارس الحكوميَّـة في مدينة الحِلَّة بمراحـل عدَّة منذ تأسيسـها إلى وقتنا الحاضر، وكانت المدارس في بداية الأمر عبارة عن كتاتيب يتلقَّى فيها الطلَّاب دروسهم، أو مجالس في المسـاجد أو دور العلماء، ولم يعنى ببناء المدارس الحكوميَّة الرسـميَّة إلَّا في وقـت متأخِّر، وذلك لخصوصيَّة التدريس عند الإماميَّة، ومحاولته الابتعاد قدر الإمكان عن سيطرة الحكومة(١).

ولم يكـن أمر تسـمية دوائـر الدولة أو المـدارس الحكوميَّة باسـم الإمام الحسـين خاصَّـة، وآل بيـت النبيّ ﷺ عامَّة، أمرًا مطروقا في ظلِّ السياسـة القمعيَّة التي انتهجها نظـام حزب البعث وعدائه السـافر لآل البيت عليهم السلام(٢). لكن بعـد عام (٢٠٠٣م) تنفَّس الشـيعة الصعداء، فأخـذوا يتحرَّكون بشيء من الحريَّة في إظهـار حبِّهم وموادَّتهم للنبيّ المصطفـى وآل بيتـه (عليه وعليهم أفضل الصلاة والسـلام)، ومن هذا المنطلق أخذت بعـض دوائر الدولـة تضع على واجهاتهـا جداريَّات تحمل صور وشـعارات تمثِّل ثورة الإمـام الحسـين عليه السلام، وأهدافهـا الخالـدة، سـواء في مركز مدينـة الحِلَّـة، أو في الأقضية والنواحي.

ويتَّضـح هذا الأثر بصورة أكبر في المدارس الحكوميَّة، إذ إنَّ الكثير من المدارس في كافَّة مناطق الحِلَّة قد أخذت أسماءها من ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ورموز معركة الطفِّ، سواء رياض الأطفال، أو المدارس الابتدائيَّة، أو المتوسِّطة والإعدادية(٣).

(١) للمزيد من التفاصيل عن تطوُّر المدارس الحكوميَّة، لاسيما في التاريخ الحديث ينظر: تاج الدين، عامر، معالم مضيئة من تاريخ الحِلَّة، دار الصادق، (بابل، ٢٠٠٩م)، ص٧، ٤٢.

(٢) الباحث مشاهدات ميدانيَّة.

(٣) للمزيـد مـن التفاصيل ينظر: كركوش، تاريخ الحِلَّـة، ص٢٥٢-٢٥٣. وبعد عام (٢٠٠٣م)، سـمِّيت الكثـير من المـدارس في مدينة الحِلَّة متأثِّرة بالثورة الحسـينيَّة، سـواء في مركز المدينة، أو الأقضية والنواحي والقرى والأرياف.

وإنَّ بعض هذه المدارس قد زيَّنت جدرانها وواجهاتها بشعارات ثورة الإمام الحسين عليه السلام، فكان لذلك أكبر الأثر في إعطاء تلك المدارس مسحة من الجمال والرونق، فوقفت تلك المدارس على الشوارع العامَّة والفرعيَّة، ومتوسِّطة بين الدور السكنيَّة، فكان ذلك أحد المظاهر المهمَّة التي يتجلَّى فيها أثر الثورة الحسينيَّة على العمارة في مدينة الحِلَّة.

ثالثًا: الأسواق والخدمات العامَّة

الإبداع المعماريّ هو النجاح في ترجمة القيم الجماعيَّة الروحيَّة والجماليَّة، ليس عبر ممارسة تقنيَّة مظهريَّة فحسب، بل أيضًا عبر ممارسة داخليَّة غايتها التعبير عن مضامين تلك القيم وأصالتها وعقلانيَّتها، وبصفتها هذه فإنَّها تأخذ بالضرورة هيئة ممارسة ذهنيَّة عمليَّة مقرونة بالتقيَّة المهنية وبالتلقائية الحسيَّة، وبالوعي العميق الهادف لمنع حدوث قطيعة عنيفة بين الماضي والحاضر والمستقبل، لذا فإنَّ المجتمع الحِلِّيّ أخذ يترجم تلك المفاهيم الروحيَّة والجماليَّة على جميع مفردات حياته التي يعيشها، إن لم نقل جميعها، ومنها الجانب المعماريّ، لذا أخذ ذلك يظهر جليًّا في الدور والأسواق والأماكن العامَّة والخاصَّة، وغيرها.

ومن النواحي العمرانيَّة التي تأثَّرت بالثورة الحسينيَّة، هي الأسواق في مدينة الحِلَّة؛ إذ أصبحت الكثير من المحال التجاريَّة، سواء الجملة أو التجزئة، تحمل أسماء رموز معركة كربلاء الخالدة، ومنها ما كان يضع صور ولوحات جداريَّة وشعارات خاصَّة بنصرة الإمام الحسين عليه السلام، بمختلف الألوان والخطوط والنقوش والأحجام والأشكال، سواء في خارج المحالِّ أو داخلها. كما أنَّ مداخل الأسواق أصبح تحمل هذه الشعارات، وكذلك فإنَّ الكثير من الأسواق

العامَّة قد سمِّيت بأسماء الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام، وأصحابه شهداء معركة الطفِّ[1].

ولم يقتصر أثر الثورة الحسينيَّة على ذلك فقط، بل تعدَّاه إلى الخدمات العامَّة الأخرى، مثل ساحات وقوف السيارات الَّتي حملت على واجهاتها أسماء وشعارات الثورة الحسينيَّة، وكذلك أسماء الأنهار والجداول والبنايات الخاصة بالقطاع العام والمختلط، وكذلك بوجود الجداريَّات والكتابات في الحدائق العامَّة، وغيرها.

(١) مشاهدات الباحث وزيارات ميدانية لهذه المواقع.

المبحث الثالث

آثار الثورة الحسينيَّة على العمارة الخاصّة في مدينة الحِلَّة

أوَّلًا: الدُّور السكنيَّة

إنَّ الهويَّة المعماريَّة ليست شيئًا جامدًا، بل هي ديناميكيَّة الحركة، تتحوَّل بالتدريج دون أن تخرج عن خطِّها الرئيس، كما أنَّها ملموسة وترتبط بالإرث الذي صنعته الحضارة عبر التاريخ. والهويَّة المعماريَّة للمدن في نتاجاتها المعاصرة من خلال المفردات والعلاقات بين الفكر والمادَّة لتلك النتاجات، وبالتالي فإنَّ الفكر والدين والمعتقد والعادات والتقاليد والبيئة والظروف الاجتماعيَّة والسياسيَّة تندمج معًا في بوتقة واحدة، فتشكِّل البنى السطحيَّة والصورة الظاهريَّة للحضارة وهويتها المتميِّزة عبر سنين من الزمن، وخلال ذلك ظهرت توجُّهات مختلفة من صيغ تعامل المعماريِّين مع العمارة في تصاميمهم، إذ أضافوا عناصر جديدة للعمارة المعاصرة، مع الاهتمام بالإرث المعماريّ للموروث، ولجؤوا للاقتباس والتقليد حينًا، والابتكار حينًا آخر[1].

والعمارة الخاصَّة في مدينة الحِلَّة إحدى الجوانب التي تأثَّرت إيجابًا بالثورة والشعائر الحسينيَّة، وكما سبق وقلنا فإنَّ انتشار بناء الحسينيَّات والمراقد والمقامات والمواكب تتَّصل بصورة مباشرة أو غير مباشرة بثورة الإمام الحسين عليه السلام. وكما المساجد ومنذ

(١) المالكيّ، قبيلة فارس، الإبداعات العمرانيَّة والمعماريَّة العربيَّة الحفاظ، الصياغة، إعادة التأهيل، مؤسَّسة الورَّاق للنشر والتوزيع، (عمان، ٢٠١٠م)، ص٢٠-٢١.

قيام الأمصار الأولى، كانت المحور الذي تدور حوله باقي الكتل العمرانيَّة الأخرى، ولا شكَّ أنَّ الحسينيَّة مثل المسجد لها دور في تخطيط المدن، ومنها الدور، ففي الكثير من الأحيان تبدأ العمارة منها وتنتهي إليها، فالمسلم دون شعور منه يستمدُّ التخطيط والهندسة وعمران بيته ومدينته من خزين المعرفة الدينيَّة وخلفيَّة تمسُّكه وأدائه للفرائض والمناسك والشعائر والعادات والتقاليد الإسلاميَّة، ولذا يمكننا ملاحظة الطابع المميِّز لأي مدينة إسلاميَّة أو بيت مسلم، عند مقارنته بالمدن والبيوت الأخرى[1]. وكذلك فإنَّ للمراقد والمقامات المقدَّسة آثارًا إيجابيَّة على المجتمعات المحيطة بها؛ لارتباطها الوثيق بمعتقدات الشعوب ومختلف جوانب حضارتها، لاسيما العمرانيَّة منها[2].

إنَّ كلَّ شخص في تصميم بيته يصبو إلى إرضاء ذاته أوَّلًا، ومحيطه الاجتماعيّ ثانيًا، وهو في ذلك كلِّه لا يخرج من الإطار العام للعمارة الداعية للتعايش مع الحاضر والارتباط بالماضي، متأثِّرة بالمذهب والدين، والعمارة الحِلِّيّة غير جامدة ومتزمِّتة ورافضة للتطوُّر، بل هي متجدِّدة مبدعة، تحوي كلَّ جميل غني يرتبط بالتراث الخالد.

وتعدُّ الدور السكنية، وبلا منازع، من أهمِّ وأكثر الكتل المعماريَّة في أي مدينة، سواء في شرق الأرض أو غربها، وبالتالي فإنَّ أثرها في نمط العمارة سيطغى على غيره من الأنماط الأخرى. وبطبيعة الحال فإنَّ الدور السكنية في الغالب هي أملاك خاصَّة، فتُبنى وفق أمزجة السكَّان، وما يتوافق مع مقتضيات حياتهم وميولهم الدينيَّة والاجتماعيَّة وقدرتهم الاقتصاديَّة، وغيرها من المؤثرات الأخرى، وهذا يشمل خارج المبنى وداخله.

(١) الكرباسيّ، دور المراقد في حياة الشعوب، ص١١١-١١٢.
(٢) المصدر نفسه، ص٤١.

وإنَّ كلَّ مدينة تأخذ شكلها وقيمتها حالما يتمُّ تمصيرها وتأهيلها للسكن، وتكون هناك من العوامل المساعدة ما يجعلها قابلة للتمدُّد والتوسُّع جغرافيًّا وسكانيًّا، وتصبح محطَّ أنظار الآخرين. ويتأثَّر فن العمارة من مدينة إلى أخرى بعدد من المؤثِّرات، كما أوضحنا سابقًا، ويتفاوت أثر هذه العوامل بين المدن، فمنها ما بُني على أساس اقتصاديّ أو عسكريّ أو جغرافيّ أو دينيّ، أو غير ذلك.

ومدينة الحِلَّة من المدن التي كان للعامل الدينيّ دور كبير في رسم ملامحها العمرانيَّة، ولاحظنا كيف أنَّ الثورة الحسينيَّة تركت آثارها على المعالم العمرانيَّة فيها، ومن الجوانب المعمارية التي تأثَّرت بالثورة الحسينيَّة في مدينة الحِلَّة هي بناء الدور السكنيَّة للأهالي، ويتجلى هذا الأثر في واجهات المنازل، وفي دواخلها أو البنايات الملحقة فيها، فعمد الكثير من السكَّان بنقش أو كتابة أو رسم الصلاة على محمَّد وآل محمَّد، وأسماء آل البيت عليهم السلام، أو شعارات الثورة الحسينيَّة، أو لنصرة هذه الثورة، على واجهات دورهم وبمختلف الأشكال والألوان والأحجام والخطوط، وكذلك الآيات القرآنيَّة، وغيرها من العبارات الأخرى.

وبما أنَّه قد عُرِف عن العمارة الإسلاميَّة عامَّة الاعتناء بداخل المبنى أكثر من الاعتناء بظاهره، لذا فإنَّ أثر الثورة الحسينيَّة على الدور السكنية الحِلِّيّة يتَّضح بصورة أكبر في داخل تلك المباني؛ إذ أخذ الناس بتزيين دورهم بوضع اللوحات والصور والجداريَّات المنقوش منها، أو غير المنقوش منها على جدران منازلهم، وتحمل أسماء آل البيت عليهم السلام، وكذلك الشعارات التي تمجِّد ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وأخيه أبي الفضل العبَّاس عليه السلام وأصحابهم في معركة الطفِّ.

وهذا التأثُّر قد شمل أغلب دور سكان الحِلَّة، ويُعدُّ من الفنون المعماريَّة في زخرفة الدور التي تميَّزت به المدن الشيعيَّة دون غيرها من المدن الإسلاميَّة الأخرى. وكُتِبت

هذه الشعارات والصور بألوان وأشكال وأحجام مختلفة، فأضاف ذلك مسحة من الجمال على دور مدينة الحِلَّة. وما أن يدخل أي شخص إلى أيِّ بيت حِلِّيّ حتَّى يعرف ومنذ الوهلة الأولى بأنَّ أهله إماميَّة اثنا عشريَّة.

وهناك الكثير من البيوت في وقتنا الحاضر من وضع منبرًا في دار الضيافة لداره، من أجل التبرُّك، ويخصَّص للخطيب الحسينيّ، لاسيما في المناسبات الدينيَّة التي تخصُّ آهل بيت النبيّ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهناك بعض الأسر تشتري الحُلي والسجَّادات التي تحمل صور وشعارات وأسماء آل البيت عليهم السلام، وتعلِّقها في أرجاء البيت، لاسيما في مكان استقبال الضيوف، فيكون ذلك من الجوانب الزخرفيَّة والجماليَّة في البيت الحِلِّيّ. وهناك العديد من البيوت في مدينة الحِلَّة من اقتطع جزءًا من داره أو محلِّه أو عقاره ليكون مصلًّى أو حسينيَّة، يهدف منها التقرب إلى الله تعالى، وإظهار مودَّته للنبيِّ وأهل بيته عليهم السلام، كما أمر الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[1].

ثانيًا: المدارس الأهليَّة والخدمات الأخرى

غالبًا ما توصَف المباني بالغرض النهائيّ منها، أو بوظيفتها العامَّة، كأن تكون منزل أو مشفى أو مصنع أو غير ذلك، والمباني تعدُّ مؤسَّسات اجتماعيَّة، وهي تولِّد الفضاءات المحيطة بها، وأنَّ صورة المبنى في الغالب تكون أقرب للفرض الاجتماعيّ والثقافيّ من المبنى، وتعكس طموحات المالك أو الشاغل، وتنطوي الصورة على قضايا تخصُّ المكانة والمنزلة الاجتماعيَّة والماديَّة، وهي تعكس المعتقدات الجماعيَّة والفرديَّة التي يعتنقها الفرد والمجتمع، ويكنُّون لها احترامًا خاصًّا[2].

(١) سورة الشورى، الآية ٢٣.

(٢) براين، طوني، ثقافة البناء التحليل والاختيار، ترجمة: الدكتور حاتم النجديّ، المنظَّمة العربيَّة=

وشكَّل الشيعة الإماميَّة الغالبيَّة العظمى من سكَّان مدينة الحِلَّة أيَّام تأسيسها والقرون التي تلتها إلى يومنا هذا، وكان للعلويِّين دور مهم في التأثير على مفاصل الحياة الحِلِّيَّة؛ لما لهم من مكانة خاصَّة في نفوس أهلها، لمكانتهم من آل البيت عليهم السلام، فسكنت عدد من الأسر العلويَّة في الحِلَّة، وتولوا مناصب النقباء، مثل آل طاووس، وآل النما، وآل معيَّة، وآل إدريس وغيرهم[1]، فعمد العلماء من هذه الأسر وغيرهم إلى بناء المدارس الدينيَّة لنشر فكر آل البيت عليهم السلام، كما مرَّ بنا في أثر الثورة الحسينيَّة على الناحية الدينيَّة في مدينة الحِلَّة.

وانَّ نشر فكر أهل البيت عليهم السلام يحتاج إلى كتب، فبُنيت المكتبات وخزائن الكتب الكبيرة، وتولى هذا الأمر في بداية تأسيس الحِلَّة أمراء بني مزيد أنفسهم، إذ كان للأمير سيف الدولة صدقة بن منصور (ت٥١٠هـ) خزانة كتب كبيرة[2]. ومن الجوانب التي شملها أثر الثورة الحسينيَّة هو بناء الخانات على طريق الزائرين، وكان هذه الخانات إمَا تُبنى من أشخاص معيَّنين، أو تبرُّعات مجموعة أشخاص، وأحيانا قليلة تُشرف عليها الدولة، وكانت خانات داخل مدينة الحِلَّة، وخانات على طريق الحِلَّة- بغداد، وعلى طريق الحِلَّة- النجف[3].

لم يقتصر أثر الثورة الحسينيَّة على ما سلف ذِكره من الجوانب العمرانيَّة، بل امتدَّ ليشمل جوانب أخرى منها، ومن ذلك المدارس الأهليَّة، إذ حمل الكثير من هذه المدارس،

=للترجمة، (بيروت، ٢٠١٣م)، ص١٠١.

(١) الزبيديّ، كريم مطر حمزة، الشمَّريّ، يوسف جغيل، صفحات من تاريخ الحِلَّة، مؤسَّسة الصادق الثقافية، (بابل، ٢٠١٣م)، ص٧٨.

(٢) كمال الدين، فقهاء الفيحاء، ص٢٥.

(٣) نوري، إبراهيم، قطوف حِلِّيَّة، دار الضياء للطباعة والتصميم، (النجف الأشرف، ٢٠٠٧م)، ص٦٧-٧٤.

سـواء عـلى واجهاتها أم داخلها، الكثير من شـعارات الثورة الحسـينيَّة والعبارات التي تدعو إلى نصرته، ونشر مظلوميَّة أهل البيت عليهم السلام، فأضاف ذلك تناسقًا لمباني مدينة الحِلَّة، وجعلها تبدو ككتلة واحدة متناغمة في فنِّها المعماريّ، سواء في الداخل أو الخارج. وكذا فإنَّ هناك خدمات أخرى قد حملت اسم الإمام الحسين عليه السلام[1]، وكذلك المطاعم الكبيرة والصغيرة منها، وامتدَّ الأثر الحسـينيّ في العمارة الحِلِّيّة ليشمل أسماء بعض الصيدليَّات والمستشـفيَّات، ومنها مستشـفى الإمام الصادق على شـارع (٦٠)، ومستشفى الكفيل الذي تقوم العتبة العبَّاسـيَّة المقدَّسة ببنائها في منطقة سيف سعد، ومستشفى الضامن في البكرلي، وغيرها الكثير من المرافق الأهليَّة التي حملت أسماء أهل البيت عليهم السلام.

إنَّ الكثير من البنايات الخاصَّة الأخرى قد شـملها هـذا الأثر، ومن ذلك: المحال التجاريَّة التي حمل الكثير منها أسـماء رموز الثورة الحسـينيَّة، سـواء بالنقش أو الكتابة، وبالوان وأشكال وخطوط وأحجام مختلفة. وكذلك ساحات وقوف السيَّارات الخاصَّة ومخازن حفظ الحبوب والتمور والخانات والمطاحن والمجارش والفنادق والمعامل، ومن الخدمات الأخرى هي الأفران والمخابز التي حملت واجهاتها وداخلها أسماء وشعارات ورسـوم تخصُّ أهـل البيت عليهم السلام عامَّة، وتدعو إلى نصرتهم والتمُّسـك بهـم، والتي تبيِّن أثر الثورة الحسـينيَّة عليها سـواء في خارج المبنى أو داخله، من كتابة الآيات القرآنيَّة أو الشـعارات التي تدعو لنصرة الإمام الحسـين عليه السلام، وبالوان وأشكال وخطوط وأحجام مختلفـة، ونظرًا لكثرة هذه الكتل المعماريَّة الخاصَّة، وانتشـارها في مدينة الحِلَّة، فقد يبدو أثرها في العمارة واضح وجليّ.

(١) للمزيد من التفاصيل ينظر: هادي، الحِلَّة محلَّاتها بيوتاتها أزقَّتها، ص٢٣١.

الخاتمة

الحمد لله ربِّ العالمين كما يحب أن يكون الحمد، والصلاة والسلام على النبيِّ الأمين محمَّد بن عبد الله، وعلى آل بيته الطيِّبين الطاهرين.

من خلال البحث وجدنا بأنَّه لارتباط أهل الحِلَّة روحيًّا وعقائديًّا بأهل البيت عليهم السلام عامَّة، وبالإمام الحسين عليه السلام بخاصَّة، آثارًا كبيرة على مجمل حياتهم، ولاسيما الجانب العمرانيّ منها؛ اذ ارتبطت الحِلَّة ومنذ نشأتها بأهل البيت عليهم السلام أرضًا وسكَّانًا وحضارة. ومن أسباب تأثُّر الناحية العمرانيَّة لمدينة الحِلَّة بالثورة الحسينيَّة، فضلًا عن الأسباب السابقة، هو قربها جغرافيًّا من مراقد أهل البيت عليهم السلام في النجف الأشرف، وكربلاء المقدَّسة، والكاظميَّة المشرَّفة، وللسياسة دور كبير في ذلك سلبًا في زمن نظام صدام، وإيجابًا في وقتا الحاضر.

وتباينت آثار الثورة الحسينيَّة على العمارة الحِلِّيّة من جانب لآخر؛ إذ إنَّ أكثر جانب تأثَّر منها في هذه الثورة الخالدة هو العمارة الدينيَّة التي تمثَّلت ببناء الحسينيَّات والمواكب والمقامات والمراقد والمشاهد والمدارس الدينيَّة، وهذا واضح في كثرة أعدادها والمساحات الكبيرة التي شغلتها داخل وخارج مركز مدينة الحِلَّة، وزخرفتها وانتشارها في جميع أحياء محافظة بابل.

يأتي بالمرتبة الثانية تأثُّرًا بالثورة الحسنية، هي الدور السكنيَّة للأهالي والخدمات الخاصَّة، إذ لا يخلو بيت حِلِّيّ، وبالأخص في داخله من أثر الثورة الحسينيَّة فيه. كما

أنَّ هـذا واضح في الأسـواق والمطاعـم والأفران والخدمـات الأخرى. ويـأتي بالمرتبة الثالثة البنايات العامَّة والحكوميَّة، وذلك في أسـمائها والشـعارات في داخلها. وإنَّ هذا الأثر يبدو واضحًا في أسـماء الأحياء السـكنيَّة والشـوارع والجداريَّات في عموم مدينة الحِلَّة.

من ذلـك نجد أنَّ الثورة الحسـينيَّة على العمارة في مدينة الحِلَّـة أصبحت بالإضافة إلى ما تقدِّمه من الخدمات، بمثابة القلب الحيوي للمناطق السـكنية والتجاريَّة في مركز المدينة الذي يحوي المؤسَّسـات والمراكز الصحيَّة والخدميَّـة وغيرها، وأصبح لها وظيفة ثانية، وهي البعد الدينيّ متأثِّرة بثورة الإمام الحسـين عليه السلام، وهي الوظيفة الخدميَّة للزوَّار ومـا تقدِّمه مـن خدمات في المناسـبات الدينيَّة التي ترتبط بأهـل البيت عليهم السلام. وبهذا فقد أمسـت الوظائف الخدميَّة المرتبطة بالثورة وبالشـعائر الحسـينيَّة تتطـوَّر يومًا بعد يوم، وتـترك آثارهـا الكبيرة في الكثير مـن نواحي الحيـاة في مدينة الحِلَّة، ولاسـيما العمرانيَّة منها.

قائمة المصادر والمراجع

أوَّلًا: المصادر الاولية

ابن إدريس الحِلِّيّ، أبي جعفر محمَّد بن منصور بن أحمد بن إدريس الحِلِّيّ (ت٥٩٨هـ)

- مقدِّمة تفسير منتخب التبيان، تحقيق وتقديم: السيِّد محمَّد مهدي الموسويّ الخرسان، العتبة العلويَّة المقدَّسة، (النجف الأشرف، ٢٠٠٨م).

ابن بطُّوطة، محمَّد بن عبد الله اللواتيّ (ت٧٧٩هـ)

- تحفة النظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المسمَّى رحلة ابن بطُّوطة، تحقيق: عليّ المنتصر الكتَّانيّ، مؤسَّسة الرسالة، (بيروت، ١٤٠٥هـ).

ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ).

- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: صدقي جميل العطَّار، دار المعرفة لطباعة والنشر، (بيروت، ٢٠٠١م).

العلَّامة الحِلِّيّ، جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهَّر الأسديّ (ت٧٢٦هـ)

- إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان، تحقيق: الشيخ فارس الحسُّون، مطبعة مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، (قم، ١٤١٠هـ).

- تذكرة الفقهاء، المكتبة المرتضويَّة لإحياء الآثار الجعفرية، (د.مك، د.ت).

الطبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخميّ (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م).

- مسند الشاميِّين، حقَّقه وأخرج أحاديثه: حمدي عبد الجبَّار، مؤسَّسة الرسالة، (بيروت، ١٩٨٩م).

الشيخ الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)

- النهاية والنكت، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، (قم، ١٩٩١م).

ابن فهد الحِلِّيّ، العلَّامة جمال الدين أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن فهد الحِلِّيّ (ت٨٤١هـ)

- المهذَّب البارع في شرح المختصر النافع، تحقيق: الشيخ مجتبى العراقيّ، مؤسَّسة النشر الإسلامي، (قم، ١٩٨٠).

الكلينيّ، أبو جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ الرازي (ت٣٢٩هـ)

- الكافي، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاري، ط٥، دار الكتب الإسلاميَّة، (طهران، ١٣٨٨هـ).

ثانيًا: المراجع الثانويَّة

الباوي، حسين عبد الرحمن.

- مرقد عمران بن عليّ عليهما السلام وقرية الجمجمة نظرات في التاريخ والتراث الشعبيّ، ط٢، د.مط، (د.مك، ٢٠١٢م).

براين، طوني.

- ثقافة البناء التحليل والاختيار، ترجمة: الدكتور حاتم النجديّ، المنظَّمة العربيَّة للترجمة، (بيروت، ٢٠١٣م).

الشيخ بشير.

- الشعائر الحسينيَّة ومراسيم العزاء النجفيّ، ط٦، مؤسَّسة الأنوار النجفيَّة، (النجف الأشرف، ٢٠١٣م).

تاج الدين، عامر.

- معالم مضيئة من تاريخ الحِلَّة، دار الصادق، (بابل، ٢٠٠٩م).

الجميلي، رياض كاظم سلمان.

- المدن الدينيَّة أنواعها وخصائصها الحضريَّة، بحث منشور، كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة، قسم الجغرافيا.

الحسينيّ، نصير.

- العمارة في مدينة الحِلَّة، تموز، (دمشق، ٢٠١١م).

الحكيم، حسن.

- دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، د.مط، (د.ت، د.مك).

الحميديّ، محمَّد هادي.

- الحِلَّة محلَّاتها بيوتاتها أزقَّتها، منشورات بابل، (بابل، ٢٠١٣م).

الخفاجيّ، ثامر.

- المراقد والمقامات البهيَّة في الحِلَّة السيفيَّة، مطبعة الصادق، (بابل، ٢٠١٣م).

الزبيديّ، كريم مطر جمزة، الشمَّريّ، يوسف جغيل.

- صفحات من تاريخ الحِلَّة، مؤسَّسة الصادق الثقافية، (بابل، ٢٠١٣م).

شحاته، عزَّة عليّ عبد الحميد.

- النقـوش الكتابيَّة بالعمائر الدينيَّة والمدنيَّة في العصرَين المملوكيّ والعثمانيّ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، (دسوق، ٢٠٠٨م).

الطحَّان، عبد الله عبد السلام.

- العمارة الدينيَّة الإسـلاميَّة في القـرن الثالث عشر والرابع عشر للهجرة دراسـة آثاريَّة معماريَّة وفنيَّة، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، (دسوق، ٢٠٠٩م).

العامليّ، عليّ الكورانيّ.

- كيف ردَّ الشيعة غزو المغول، المركز الثقافيّ للعلَّامة الحِلِّيّ، (بابل، ٢٠٠٦م).

عوض، عبد الرضا.

- الحوزة العلميَّة في الحِلَّة نشـأتها وانكماشها الأسباب والنتائج (٥٦٢-٩٥١هـ)، دار الفرات للثقافة والفنون، (بابل، ٢٠١٣م).

الغزاليّ، جاسم شعلان كريم.

- البعـد الجغرافيّ للوظيفة السـكنيَّة في مدينة الحِلَّة دراسـة في جغرافية المدن، دار الصادق، (بابل، ٢٠١١م).

الكرباسيّ، محمَّد صادق محمَّد.

- دور المراقد في حياة الشعوب، ط٣، دار الضياء، (النجف الأشرف، ٢٠١٣م).

كركوش، يوسف.

- تاريخ الحِلَّة، شريعت، (طهران، ٢٠٠٨هـ).

كمال الدين، هادي السيِّد حمد.

- فقهاء الفيحاء، المعارف، (بغداد، ١٩٦٢م).

المالكيّ، قبيلة فارس.

- الإبداعات العمرانيَّة والمعماريَّة العربيَّة الحفاظ، الصياغة، إعادة التأهيل، مؤسَّسة الورَّاق للنشر والتوزيع، (عمان، ٢٠١٠م).

مرتضى العامليّ.

- مختصر مفيد (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة)، المركز الإسلاميّ للدراسات، (بيروت، ٢٠٠٤م).

الموسويّ، هاشم عبُّود.

- العمارة وحلقات تطوُّرها عبر التاريخ القديم، دار دجلة، (عمان، ٢٠١١م).

نوري، إبراهيم.

- قطوف حِلِّيَّه، دار الضياء للطباعة والتصميم، (النجف الأشرف، ٢٠٠٧م).

الهنداويّ، حسين.

- محمَّد مكيَّة والعمران المعاصر، الدار العربيَّة للعلوم، (بيروت، ٢٠١٣م).